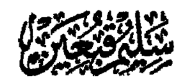
قصص روسية

ترجمها عن اللغة الروسية



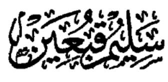
صاحب مجلة الإخاء

القاهرة شهر يونيو سنة ١٩٢٩

مطبعة النشر شارع كلوت بك لصاحبها زكي مرقص



ترجمها عن اللغة الروسية



صاحب مجلة الاخاء

القاهرة شهر يونيو سنة ١٩٢٩

مطبعة اتش سارج كلوكث لصاحبيها ركي زوما

كلمة المترجم

استفتينا كثيرين من حضرات قارئاتنا وقرائنا عن كتاب نهديهم اياه فكانت أجوبة الاكثرية الساحقة منهم مجمعة على طلب رواية يتلاهون بمطالعتها في هذا الصيف فنزلنا على إرادة هذه الاكثرية واخترنا لهم بعض الروايات الشائقة التي تستهوي المطالع ببديع اسلوبها وطلاوة حوادثها وجزيل فوائدها بما يرد في ثناياها من العبر والعظات البالغات

وهي لكبار من كتاب الروسيين الافذاذ ، الذائعي الصيت الموفوري الشهرة . ولا يخفى على جماعة المطلعين من قادة المفكرين والكتاب ان الكتاب الروسيين لهم اليد الطولى والقدح المعلى في فنون الكتابة واساليبها الشائقة الجذابة . والروايات في كل لغة مرآة آدابها . ومعلوم ايضاً اننا نترجم رأساً عن اللغة الروسية فننقل للناطقين بالضاد صورة من الادب الروسي طبق الاصل

ولعلنا بعملنا هذا نرضي مشتركينا وقرائنا وهذا ما نرمي اليه في جميع اعمالنا فحسب

سليم قبعين
صاحب مجلة الاخاء

القاهرة في أوائل يونيو سنة ١٩٢٩

القروية الحسناء

للكاتب الروسي الشهير ا. بوشكين

في احدى ولاياتنا المتباعدة تقع أملاك ايفان بيتروفتش بيريستوف . الذي خدم في سني شبابه في فرقة الحرس الملكي واعتزل الخدمة في أوائل عام ١٧٩٧ وسافر الى قريته ولم يبرحها بعد ذلك . وقد تزوج بفتاة حسيبة فقيرة ماتت في خلال الولادة اثناء وجوده في حقل مجاور للقرية . وقد خففت إدارة اعماله حزنه العميق وكانت له سلوى في محنته هذه . ثم شاد منزلا وضع رسمه بنفسه بما يوافق معيشته وأنشأ معملا للجوخ ونظم إيراداته وغدا يعد نفسه أعقل وأنبل رجل في تلك الناحية ولم يعارضه أحد من جيرانه الذين كانوا يستضيفونه مع عائلاتهم وكلابهم . وكان في أيام الاسبوع يرتدي بذلة من القطيفة وفي أيام الاحاد والاعياد يرتدي حلة رسمية من جوخ معمله وكان يكتب نفقاته في دفتر خاص ولم يقرأ غير جريدة الوقائع الرسمية . وبجمل القول أن الاهالي كانوا يحبونه ولكنهم يصفونه بالكبرياء . وكانت العلاقات متوترة بينه وبين أحد جيرانه

غريغوري ايفانوفتش موروموسكي وهو سيدوروسيقح وذو مقام محترم بذر معظم ما يملكه في موسكو وترمل في أثناء ذلك فسافر الى آخر قرية بقيت له واستمر في لهوه وقصفه ولكن على نسق جديد : أنشأ حديقة انكليزية أنفق عليها كل ما بقي من دخله . وكان سياس اصطبله يرتدون ملابس السياس الانكليز وعهد الى سيدة انكليزية تربية ابنته والعناية بها . وكان يستغل حقوله على الطريقة الانكليزية

ولكن القمح الروسي لا ينمو ولا يترعرع على طريقة غير روسية ، ومع أنه بالغ في الاقتصاد في نفقاته العامة فان وارداته لم ترد وقد استطاع أن يستدين مبالغ مختلفة من أهل القرية الذين يحترمونه ويقولون عنه أنه لبس بالاخرق لانه أول مزارع في تلك الجهات استطاع رهن أرضه في المصرف الزراعي وهو أمر يدل على المهارة والجرأة في ذلك العهد لصعوبة المعاملة وشدة شروطها . ومن الذين كانوا يتصدون لانتقاده والتعريض بذمه جاره بيربستوف الذي كان يحسده في إدارة شؤون حقوله ولم يكن يستطيع التكلم باطمئنان عن تكلنز جاره وإذا زاره ضيف وأراه أملاكه

يقول له متهكماً وعلى ثغره ابتسامة شريرة : أنّى لنا إدارة كادارة جارنا غريغوري ايفانوفتش : ومالنا وقيادة نفسنا الى الخراب والافلاس على الطريقة الانكليزية . اننا بسيرنا على الطريقة الروسية نكون على الاقل ممتلئي البطون وكانت هذه المغامز والسخريات تبلغ آذان غريغوري مضافاً اليها زيادات وذيول فيحرق الأرّم غيظاً ويشابه رجال الصحافة الذين يخرجهم أقل انتقاد يوجه اليهم عن حد العقل ويوجه الى خصمه أنواع السباب والشتائم مسمياً إياه دباً وقروياً

هكذا كانت العلاقات بين الجارين المزارعين عندما وصل الى القرية ابن بيريستوف الذي كان يتلقى علومه في الجامعة وعازماً على الانتظام في سلك الجندية غير أن أباه لم يوافقه على فكرته وكان الغلام لا يرى في نفسه ميلا للخدمة الملكية وعليه فان الاب والابن اختلفا في الفكرة وتمسك كل برأيه وقرر الشاب واسمه اليكسي أن يعيش في القرية سيداً وأسدل شاربيه لكل حادث

اليكسى شاب بهي الطلعة ذو قامة معتدلة ولو دخل الجندية وارتدى حلتها الانيقة الجميلة وامتطى صهوة جواد

مطهم لجاءت صورته فتنة للناظرين والناظرات ولـكنه سيقضي عمره منحنياً فوق أوراق مكتب والده. وعندما يمتطي جواده ويخرج للصيد ويجري به في مقدمة الجميع كان الناظرون اليه يقولون بصراحة أنه لا يصلح أن يـكون رئيس مكتب ذا جدارة . أن الأوانس الفاتنات كن يلقين عليه نظرات أعجاب ولم يضبطن أنفسهن عن مسارقته النظر ومشاغلته ولكنه لم يكن يوجه اليهن التفاتاً ولم يشعر بتلك النظرات الحادة الموجهة اليه فحسبت الاوانس أن عدم شعوره ومشاطرته اياهن النظرات ناجم عن حب ملأ فؤاده فتمكن فيه ولم يدع محلا لآخر

أن أولئك القراء الذين لم يسبق لهم أن عاشوا في القرى لا يستطيعون أن يتصوروا الأوانس القرويات وما هن عليه من جمال خلاب ، انهن بعيشتهن في الهواء الطلق تحت ظلال أشجار التفاح في حدائقهن الخاصة وهن لا يعلمن شيئاً من أحوال الدنيا الا ما يطالعنه من الكتب . فالخلوة والخبرة والمطالعة تغرس فيهن منذ نعومة أظفارهن الشعور بمعاني وعواطف الحب والغرام وينمو فيهن ذلك مع نموهن

— تلك الصفات التي لا أثر لها بين أوانس وفاتنات المدن المشردات الافكار ففي القرى قرع الجرس يعتبر من الحوادث الهامة وسفرة الى أقرب مدينة تسجل في تاريخ الحياة وزيارة ضيف يبقى أثرها الى أمد بعيد

ومعلوم أن لكل انسان ملء الحرية في استغرابت بعض عاداتهن وما يصدر عنهن من الامور المستهجنة ولكن انتقاد مراقبهن السطحي لا يستطيع استئصال جوهر مواهبهن السامية وأهمها : سمو أخلاقهن واستقلالهن الذاتي (Individualité) وبغير ذلك على رأي «جان بول» لاوجود للعظمة الانسانية وبناء على ما تقدم يسهل تصور التأثير الذي أثره اليكسي على تلك الاوانس الفاتنات فأنه أول شاب ظهر أمامهن عبوساً مخيباً آمالهن وأول من روى لهن عن المسرات الخاسرة وعن ذبول شبابه قبل أوانه . وفضلا عن ذلك كان يحمل في أصبعه خاتماً أسود منقوشاً على فصه رأس ميت . وجميع هذا جديد في تلك الولاية الأمر الذي كادت معه الأوانس تصاب بمس في عقولهن

وانشغلت به اكثر من الجميع ليزا ابنة غريغوري

المتكلمز اويبستي كما يدعوها أبوها ومعلوم مما تقدم أن والديهما ما كانا يزوران بعضهما وهي لم تر الشاب اليكسي غير أنه كان موضوع حديث وسمر الفتيات الحسان جاراتها وكان لها من العمر سبعة عشر عاماً . أن عينيها السوداوين كانتا تلقيان على وجهها الاسمر اللطيف نوراً من الجمال وهي فتاة وحيدة مدللة وكانت حركاتها المتوالية وطيشها وسكناتها تجلب السرور لفؤاد والدها والغم والكدر لمس جاكسون مربيتها الانكليزية وهي عانس متكبرة جاوزت الاربعين وتكثر من تبييض وجهها وتزجيج حاجبيها وكانت تقرأ على مسمع « باميل » الكتب وتتقاضى على ذلك الفي روبل [1] في السنة وكادت روحها تزهق في روسيا المتوحشة في ذلك العهد

دخلت الوصيفة ناستيا غرفة ليزا وهي أكبر منها قليلا وهي فتاة طائشة كسيدتها وكانت ليزا تحبها كثيراً وتفضي لها بجميع أسرارها وكانتا معاً تبتكران أنواع الطيش والافكار

---

[1] الروبل — ريال روسي يساوى عشرة قروش مصرية

الصبيانية ولها في قرية « بريلوتشينا » مقام ممتاز عن غيرها وخصوصاً في منزل والد ليزا

وفيما ناستيا ذات يوم تساعد ليزا على ارتداء ملابسها قالت لها : أرجوك أن تأذني لي بالذهاب للضيافة اجابة لدعوة جاءتني

— فليكن ، ولكن الى أين !

— الى منزل بيريستوف — فان زوج الطاهي اليوم عيدها الاسمي وجاءت أمس ودعتني لتناول الغداء

— فقالت ليزا : كذا كذا : الاسياد في نزاع وخصام والخدم يضيفون بعضهم بعضاً

— مالنا والسادة ! أنا لك ولست لوالدك وأنت لم تخاصمي بيريستوف الصغير وأما الشيخان فليتخاصما وليتنازعا اذا كان ذلك يعود عليهما بالسرور والارتياح

— أبذلي وسعك ياناستيا لرؤية اليكسي بيريستوف ثم قصي عليّ جيداً بعد ذلك ماهية هذا الشاب وماذا يكون من الناس ولا تتركي شاردة أو واردة عنه الا واخبرتني بها

فوعدتها ناستيا باتمام رغبتها ولبثت ليزا طول اليوم

تنتظر بفروغ صبر عودة ناستيا ولما عادت مساء قالت وهي داخلة الغرفة : قد رأيت يا ليزا اليكسي الشاب وتفرست فيه ملياً وطول النهار كان معنا

— كيف ذلك ؟ قصي على مسامعي كل شيء بالترتيب

— سمعاً وطاعة : ذهبت وانيسيا ايغورفنا ونيفيلا ودونكا

— اعرف هذا ، وبعد ذلك

— هأنذا أروي لك مفصلا : وصلنا المنزل ساعة الغداء فالفينا الغرفة ملأى بالمدعوين وجلهن من السيدات

— وبيريستوف الشاب ؟

— اصبري قليلا . جلسنا جميعنا حول المائدة الفخمة وعليها من انواع الاطعمة اشهاها وبعد ان أكلنا مريئاً وشربنا هنيئاً مدة ثلاث ساعات متوالية قمنا وذهبنا الى الحديقة حيث أخذنا نلعب ونلهو وفيما نحن على تلك الحال ظهر اليكسي

— وهل صحيح ما يقال عنه أنه جميل بهي الطلعة ؟

— نعم أنه جميل وجميل جداً معتدل القامه ذو وجنتين يكاد الدم يخرج منهما

— أمر عجيب ! اني كنت أقدر انه أصفر الوجه . ولكن كيف رأيته أنت هل كان عبوساً كئيباً كثير التفكير

— ما هذه التصورات يا سيدتي ! أنه على غير ما تزعمين فانه طلب الينا أن يشاركنا في اللعب والجري

— يجري معكن ؟ هذا أمر مستحيل

— بل صحيح وصرح بانه سيقبل كل فتاة يقبض عليها في اثناء اللعب والركض

— انك تكذبين وتفترين يا ناستيا ؟

— انني لم أقل غير الحق وأنا بنفسي تخلصت منه بكل صعوبة ولبث معنا طول الوقت في اللهو واللعب

— ولكن كيف يقولون انه يحب وأنه لا يلتفت الى أحد مطلقاً ؟

— لا أعلم وانما أقول انه كان موجهاً نظره اليّ والى تانيا وباشا ولكنه لم يهن واحدة منا

— هذا امر غريب ! وما يقولون عنه في المنزل ؟

— يقولون انه شاب ظريف، طيب، لعوب فكه لا تفارق الابتسامة ثغره وصفة واحدة فيه غير محمودة وهي أنه يجري كثيراً وراء الاوانس الحسان ومن جهة اخرى ان ذلك ليس بالأمر المشين فانه يوافق ظروف هذا العصر

— فتنهدت لنزا وقالت: اتمنى من صميم فؤادي ان اراه

— الأمر على غاية السهولة . فان قرية توغيلوفو لا تبعد اكثر من ثلاثة كيلومترات بل المسافة بيننا وبينها دون ذلك . اقصدي تلك الجهة للرياضة أو امتطي صهوة جوادك فانك ترينه لا محالة لانه كل يوم يتقلد بندقية ويخرج مبكراً للصيد

— هذا رأي غير مناسب لأنه سيظن اني أجري وراءه ومن جهة أخرى ان والدي ووالده متخاصمان ولا يليق بي في هذه الحالة أن أتعرف به . ولكن هل تعلمين يا ناستيا ما خطر ببالي ؟ أرتدي ثياب قروية بحيث تصعب عليه معرفتي

— هذا رأي حسن جداً : ارتدي قميصاً غليظاً وجلباباً فضفاضاً وسيري بجرأة الى توغيلوفو واني كفيلة بأن

بيريستوف لا يفلت من يدنا

— وأنت تعلمين يا ناستيا اني أحسن تقليد لهجة كلام الفلاحين فما أحسن هـذه الفكرة يا عزيزتي ناستيا ! ثم اضطجعت في سريرها وهي عازمة على تنفيذ هذه الفكرة التي صادفت هوى في نفسها . وفي اليوم التالي همت لاتمام ما رسمته فأرسلت وابتاعت من السوق كتاناً (تيل) غليظاً خشناً ونسيجاً قطنياً أصفر وأزراراً نحاسية وبمساعدة ناستيا خاطت لها قيصاً وجلباباً واستدعت جميع الخادمات لمعاونتها بالخياطة وتمّ كل شيء عند المساء وارتدتها على سبيل التجربة ولما وقفت أمام المرآة صرحت بأنها لم تر نفسها أجمل منها اليوم ثم أخذت تمثل الدور الذي ستمثله فانحنت مراراً وهزت رأسها وجعلت تتكلم بلسان الفلاحين ثم تضحك وتغطي وجهها بكمها فصفقت لها ناستيا تصفيق الارتياح والاستحسان. ووجدت صعوبة بأمر واحد وهو أنها جربت أن تمشي حافية في فناء المنزل فوخز العشب الأخضر رجليها الرخصتين وشعرت بصعوبة غير محتملة في السير على الرمل والحصى . فساعدتها ناسنيا في هذا ايضاً فانها قاست رجل ليزا وهرولت

مسرعة الى الراعي « تروفيم » في الحقل وطابت منه أن يجهز لها خفاً بحسب القياس الذى دفعته اليه . وفي اليوم التالي قبل الفجر والشروق استيقظت ليزا بينما جميع الذين في المنزل نيام . ووقفت ناستيا أمام باب الدار تنتظر الراعي تروفيم وما هي الا فترة حتى نفخ في البوق واندفع قطيع القرية ماراً بمنزل سيد القرية وناول الراعي ناستيا الخف فوضعت بيده نصف روبل على سبيل المكافأة . وارتدت ليزا الملابس القروية وألقت أوامرها همساً على ناستيا بشأن مس جاكسون وخرجت من الباب الخلفي عن طريق المبقلة (١) وقصدت الحقل دون أن تلوي على شيء

سطع نور الفجر من جهة الشرق وصفوف السحب الذهبية كانت تنتظر شروق الشمس انتظار رجال القصر للملك . ان السماء الصافية وغضاضة الصباح ورطوبته والندى والنسيم العليل وزقزقة العصافير كل ذلك ملأ قلب ليزا بابتهاج الأطفال وانشراحهم. وخيفة أن يصادفها أحد كانت تظهر انها تطير ولا تمشي. ولما قربت من الغابة المتاخمة لأملاك

(١) المبقلة ـ وزان مسبعة = ارض تزرع فيها البقول وراء المنزل

والدها خففت السير لأنها تنتظر مقابلة اليكسي في هـذا المكان : وجعل قلبها يخفق بشدة دون أن تدري لذلك سبباً ولـكن الخوف الذي يتبع طيشنا ومرحنا في الصغر أبدع وألذ ما فيه . ثم دخلت ليزا في ظلام الغابة فحياها حفيف أشجارها وهنا خفت سرورها وابتهاجها واستسلمت للافكار العذبة . أجل جعلت تفكر ! ولـكن من يستطيع معرفة ما تفكر به فتاة في السابعة عشرة من عمرها وهي منفردة في غابة عند الساعة السادسة من صباح أيام الربيع ؟ وعليه كانت تسير على درب على جانبيها أشجار باسقة وفيما هي مستسلمة لأفكارها فاجأها عواء كلب سلوقي جميل فاضطربت ليزا وصاحت وفي هذا الوقت خرج صوت عال يقول « tout beau Sbogar, ici » وظهر على أثره الصياد الشاب من وراء شجيرة وقال : لا تخافي يا عزيزتي ان كلبي لا يعض . وكانت ليزا قد تمكنت من استعادة طمأنينتها وذهاب خوفها وانتهزت هذه الفرصة للانتفاع بها فقالت : كلا يا سيد وتظاهرت ببعض الخوف والحياء ثم قالت ايضاً : اني خائفة فما أشر هذا الكلب، انه يحاول الهجوم عليّ . اما اليكسي (ولا بد أن القاريء

عرفه) فقد وجه نظره الى القروية ولم يحوله عنها وقال لها : اني ارافقك وأوصلك اذا كنت خائفة وهل تأذنين لي بالسير الى جانبك . فأجابته ومن يعارض في ذلك . لأن المستقل له ملء الحرية والطريق عام . فقال لها : من أين أنت ؟

— من قرية « بريلوتشينا » ابنة باسيل الحداد جئت لأجمع الفطر (كمأة) وكانت تحمل سلة مربوطة بحبل . ثم قالت له وأنت أيها السيد من أين ؟ أظن أنك من قرية توغيلوفو . نعم واني خادم رب القرية الشاب ، قال اليكسي ذلك ليساوي بينها وبينه في المنزلة والنسبة ولكن ليزا ألقت عليه نظرة وضحكت وقالت: ألا تكذب بهذا انك لا تخاطب حمقاء واني ارى انك سيد القرية بنفسك! فقال لها لم تفتكرين بمثل هذا ؟ فأجابته : الأمر واضح لا يحتاج الى برهان وهل تصعب معرفة الفرق بين السيد والخادم . وهذه ملابسك ونداؤك للكلاب الغير المعروف عندنا كل ذلك أدلة تؤيد نظريتي

وازداد شغف ليزا بأليكسي بين دقيقة وأخرى وبما انه اعتاد على رفع الكلفة مع الفلاحات أراد أن يطوق

خصرها بيديه ولكن ليزا قفزت من أمامه واتخذ وجهها هيئة الجد والصرامة الأمر الذي أضحك أليكسي كثيراً ولكنه أوقفه عند حده وحال بينه وبين هجوم جديد

فقالت له ليزا بعظمة وشهامة : اذا كنت تريد أن نكون صديقين فأرجو أن لا تنسى نفسك

— من علمك هذه الحكمة ؟ ألقى عليها أليكسي هذا السؤال مقهقهاً . ألعلها ناستيا التي تعرفت بها أو كريمة سيدك؟ اني أرى بأي طريق ينتشر العلم والثقافة

ورأت ليزا اذ ذاك أنها أنهت تمثيل دورها وعزمت على الانصراف ولكنها خاطبت الشاب بقولها : أو تظن اني لم أزر منزل رب القرية ، لقد زرته مراراً ورأيت وسمعت كل شيء ثم استطردت الكلام وقالت : ثرثرتي معك حالت دون جمع الفطر فاذهب أيها السيد من جهة وأنا أسير من جهة أخرى وأرجوك المعذرة وأرادت أن تبتعد لكن أليكسي أمسك يدها وسألها ما اسمك يا روحي ، فأجابته اسمي أكولينا وحاولت سحب أصابعها من يده وقالت أتركني أيها السيد فقد حان الوقت لذهابي الى المنزل

— اسمعي يا صديقتي أكولينا اني سأزور والدك باسيلي الحداد

— اياك أن تفعل هذا . . باسم المسيح أرجوك أن لا تقدم على هـذا الأمر . لأنهم لو علموا في المنزل اني ترثرت مع شاب على انفراد في الغابة لحلّت بي مصيبة دهماء وأبي باسيلي الحداد يضربني حتى الموت

— ولـكنه لا بد لى من رؤيتك

— سآتي في وقت ما الى هنا ايضاً لاجمع الفطر

— ومتى تحضرين ؟

— حتى ولو غداً

— يا عزيزتي أكولينا ! أريد تقبيلك ولكني لا أجسر على ذلك وعليه فاني انتظرك غداً هنا في مثل هذا الوقت

— نعم ! نعم

— وانت لا تخدعيني

— لا أخدعك

— اقسمي على ذلك

— والجمعة المقدسة سأحضر

فافترق الشاب والشابة وخرجت ليزا من الغابة واجتازت الحقل ودخلت الحديقة خلسة وبطيش وسرعة دخلت المنزل حيث كانت ناستيا تنتظرها ثم خلعت ملابسها وكانت تجيب الوصيفة على اسئلتها المتتابعة وهي شاردة الفكر ثم ذهبت الى صاعة الاستقبال وكانت المائدة جاهزة وطعام الأفطار حاضراً وقد قطعت المس جاكسون الفطائر اللذيذة . وأثنى الأب على ليزا لرياضتها في الصباح وقال: وليس أحسن وأصح من النهوض من النوم عند الفجر واورد عدة امثلة على طول العمر الانساني اقتبسها من المجلات الانكليزية وقال ان كل الأشخاص الذين جاوزوا المائة من سني حياتهم لم يذوقوا الخمر وكانوا يستيقظون قبل الفجر صيفاً وشتاء . ولم تسمع ليزا كلمة مما قاله لأنها كانت تستعرض في فكرها جميع ظروف واحوال مقابلة الصباح وحديث اكولينا مع الصياد الشاب واخذ ضميرها اذ ذاك يعذبها . وحاولت عبثاً تبرير زلتها وقالت : ان حديثها لم يخرج عن حدود الآداب وان هذه اللعبة التي لعبتها لا ينجم عنها اية عاقبة ولكن ضميرها كان يتذمر وارتفع صوته على صوت عقلها وادراكها .

ان الموعد الذي حددته للمقابلة في اليوم التالي أقلقها كثيراً وعزمت على ان تحنث بقسمها ولكنها قالت : ان اليكسي اذا انتظرها كثيراً ولم تحضر يقصد القرية للبحث عنها عن ابنة الحداد باسيلي اكولينا الحقيقية الثخينة المجدورة فيفقه اذ ذاك طيشها وخفتها فأزعجها هذا الفكر كثيراً ولذا عزمت ان تقصد الغابة في اليوم التالي بشخص اكولينا

أما اليكسي فكان في غاية الانشراح والجذل ولبث طول النهار مفكراً بالصديقة الجديدة . وتراءت له ليلا صورتها الحسناء السمراء وتكرر ذلك في منامه . وما لاح الفجر حتى كان مرتدياً ملابسه ولم يترك لنفسه وقتاً لحشو البندقية بل خرج الى الحقل مع كلبه الامين واسرع نحو مكان المقابلة الموعود بها . لبث نصف ساعة منتظراً حسبه دهراً وأخيراً رأى بين الادغال بريق الجلباب الازرق وهرول لاستقبال أكولينا الوضاحة الجبين فابتسمت شاكرة له سروره بمقابلتها ولحظ من فوره على وجهها آثار الكآبة والاضطراب وأراد معرفة سبب ذلك . فاعترفت ليزا بأن عملها هذا طيش وخفة وانها ندمت على ما

فرط منها وإنها لم ترد هذه المرة عدم الوفاء بوعدها وان مقابلتهما هذه تكون الاخيرة وترجوه أن يقطع حبل المعرفة التي لا تقودهما الى امر نافع قالت هذه العبارات بلهجة فلاحية صميمة ولكن افكارها وشعورها غريبان بالنسبة لفتاة فلاحة الامر الذي ادهش اليكسي وصبره فاستعمل كل ما في مقدوره من حسن البيان والبلاغة ليحمل آكولينا على العدول عن عزمها واكد لها اماله ووعدها بانه لا يدع مجالا في المستقبل للندم وانه سيكون طوع إرادتها في كل شيء واقسم عليها أن لا تحرمه من سلوى فذة برؤيتها على انفراد يوماً بعد يوم او مرتين في الاسبوع وكان يتكلم بلسان الحب الخالص الحقيقي وكان فى هذه الدقيقة كالعاشق الولهان. وكانت ليزا تسمع كلامه وهي صامتة فقالت له أخيراً: عدني وعداً صادقاً بأنك لا تبحث عني مطلقاً في القرية أو تسأل أحداً عني وعدني ايضاً بانك لا تطلب مني مقابلة أخرى غير المقابلات التى أحددها أنا وأراد اليكسي أن يقسم لها بالجمعة المقدسة ولكنها استوقفته بابتسامة وقالت. لا لزوم للقسم ويكفيني وعداً منك وبعد هذا أخذا يتسامران كصديقين واستراحا في الغابة الى أن

قالت لىزا : حان الوقت فافترقا . ولما بقي اليكسي وحده لم يستطع أن يفهم أو يفقه كيف أن فتاة قروية ساذجة استطاعت بمقابلتين أن تتسلط عليه وتخضعه لارادتها . ثم أن علاقته باكولينا كان لها طلاوة الجديد الطريف . وبدا له أن أوامر الفلاحة الغريبة ثقيلة ومع هذا لم يخطر بباله أن ينقض عهوده لها . ومع ماصادفه من النحس برفض المكاتبة السرية والاجتماعات الدائمة معها بقي ثابتاً لا يتزعزع لانه كان صالحاً طيباً ملتهباً حباً وكان له قلب طاهر جدير بشعور التمتع بلذة الطهارة والعفة

اني لو اطعت ارادتي لوصفت وصفاً مسهباً تفاصيل مقابلات الفتاة والفتى التي انمت بينهما الميل المتبادل والثقة التي لا حد لها واستطردت الكلام الى ذكر احاديثهما ومسامراتهما ولكني اعلم يقيناً ان اكثر قرائي لا يشاطروني اللذة في ذلك واظن ان هذه التفاصيل تبدو للقاريء تافهة لا قيمة لها وبناء عليه فاني أضرب صفحاً عنها واقول بايجاز : انه مامضى على تعارفهما شهران حتى كان اليكسي مغرماً بليزا لحد الشغف ومس الحب صميم فؤاده ولم تكن الفتاة بأقل منه في ذلك

ولكنها كانت اقل كلاماً منه . وكان كلاهما سعيدين بالحاضر وقلما فكرا بالمستقبل .

ان عدم التكافؤ بينهما في الحسب والنسب شغل افكارهما كثيراً ولكنهما لم يذكرا ذلك لبعضهما والسبب واضح : فان اليكسي مهما كان تعلقه شديداً بعزيزته الحسناء أكولينا يعلم الفرق الجسيم بينه وبين الفلاحة المسكينة وليزا تعلم علم اليقين العداء المستحكم بين والديهما ولم تتوقع امكان صلح متبادل . ثم أن ما اتصفت به من الانانية المتناهية دفعها الى الاعتقاد بأن اليكسي ابن المزارع الكبير سيدفعه حبه الى السجود يوما ما أمام رجلي ابنه الحداد المنتحل . ولكن حدث ما لم يكن في حسبانها وغيّر مجرى الاحوال واليك البيان:

في صباح يوم بارد صافي السماء من أيام خريف روسيا المعروفة ببردها القارس خرج ايفان بيتروفيتش بيريستوف للنزهة على ظهر جواده واصطحب معه ستة من الكلاب السلوقية وسائس خيله وعدة غلمان مع كل واحد بوق . وفي الوقت نفسه غرّ صفاء الجو غريغوري ايفانوفيتش مورومسكي فأمر بأسراج فرسه وامتطى صهوتها فسارت به خببا الى

حقوله المنسقة على الطريقة الانكليزية ولما بلغ الغابة رأى
عدوه اللدود على ظهر جواده يختال عظمة وكبراً وقد ارتدى
عباءة مبطنة بفرو ثعلب منتظراً ارنب اثاره الغلمان من بين
الادغال بالصياح واصوات الابواق . ولو علم مورومسكي
بهذه المقابلة لتجنبها وعاد ادراجه لكنه قابله مفاجأة واصبح
منه على مسافة طلقة مسدس فلم يعد بيده حيلة وبما انه
كان رجلا اوربيا متثقفا مهذبا تقدم من عدوه وحياه
بلطف وهشاشة فرد له بيريستوف التحيــة بأحسن منها
وكانت تحيته كتحية الدب المربوط بالسلاسل للسادة
امتثالا لأمر صاحبه . وفي هذه اللحظة قفز الارنب من
الغابة وخرج الى الحقل فصاح بيريستوف وسائسه بكل
قوتهما وأطلقوا الكلاب واقتفوا أثر الارنب بكل سرعة .
ولم تكن فرس موروسكي خرجت مرة قبل ذلك للصيد
نخافت وجفلت وجمحت وبما أن صاحبها يعد نفسه من
الفرسان المبرزين أطلق لها العنان وسر بهــذه المصادفة
التي أنقذته من محادثة عدوه المكروهة ولبثت الفرس
تجري بكل قوتها حتى بلغت وادياً عميقــاً فانحرفت عنه

بقوة ولم يتمكن مورومسكي معها من الثبات على ظهرها فسقط على أرض مغطاة بالجليد لاعناً فرسه التي اذ رأت نفسها بلا فارس وقفت . ولما رأى بيريستوف ذلك أسرع الى جاره وسأله عن سلامته وهل أصيب برض أو جرح وفي هذه الفترة قاد السائس الفرس الجموح وساعد مورومسكي على ركوبها . ثم أن بريستوف دعاه الى منزله للاستراحة فلم يستطع رفض دعوته لأنه وجد نفسه مدينا له وعليه فقد عاد الى منزله مملوءاً فخراً وعجباً لأنه اصطاد ارنباً وقاد عدوه جريحاً كأسير حرب

وعندما جلس الجاران على المائدة تحادثا بوداد واخلاص ثم طلب مورومسكي من مضيفه مركبة واعترف له انه بسبب الرضوض لا يستطيع العودة الى منزله راكباً فرسه فتبعه بيريستوف الى الباب الخارجي وسافر مورومسكي بعد أن أخذ منه عهداً قاطعاً بان يزوره في اليوم التالي لمناولة طعام الغداء مع نجله اليكسي وعليه فان العداء القديم المتأصل في نفسي الجارين أزاله خوف الفرس وجموحها

هرولت ليزا لمقابلة والدها وقالت مندهشة : ما معنى

هذا يا أبي ؟ ولماذا أنت تعرج وأين فرسك ؟ ولمن هذه المركبة . فأجابها والدها حقاً أنك لا تستطيعين حل هذا المعمى ثم روى لها كل ما حدث بالاسهاب . فلم تصدق ليزا ما سمعته أذناها ولم يدع لها والدها فرصة لزوال دهشها بل فأجاها بقوله : وغداً سيتناول عندنا طعام الغداء بيريستوف وابنه . فكادت تصعق لهذا النبأ وقالت : وقد غطت وجهها صفرة الذهول : ماذا تقول يا أبي !

أقول أن بيريستوف وابنه يتناولان غداً طعام الغداء على مائدتنا ! ! فأجابته بقولها : اعلم يا والدي باني لا أظهر أمامهما مهما كان الامر خطيراً

— هل أصبت بمس في عقلك ؟ ومتى غدا عندك مثل هذا الحياء ، أو أنت تحفظين لهما الحقد الوراثي كبطلة الروايات ، كفى كفى حماقة وجنونا

فقالت ليزا . كلا يا أبي اني لا أقابلهما مطلقاً ولو أعطيت ما في الدنيا من كنوز . فهز والدها كتفيه وأمسك عن الكلام بهذا الصدد علماً منه ان العناد لا يفيد شيئاً ودخل غرفته للاستراحة بعد هذه النزهة النادرة المثال

وسارت ليزا الى غرفتها واستدعت من ساعتها ناستيا ولبثنا مدة طويلة يتحادثان عن ضيوف الغد . فقالت ليزا : ماذا سيقول أليكسي اذا عرف في هذه الفتاة المهذبة المثقفة صديقته أكولينا وماذا سيكون رأيه في سلوكها . وأخذت تضرب أخماساً بأسداس عن تأثير مقابلتها في نفس اليكسي . وخطر لها خاطر فجائي أبلغته لناستيا ووقع من نفسيهما موقع السرور وقررتا تنفيذه

وفي اليوم التالي سألها غريغوري ايفانوفتيش وهم جالسون على مائدة الافطار هل ما زالت عازمة على الاختفاء من وجه بيريستوف وابنه ؟ فأجابته بقولها : اني سأقابلهما اذا كان ذلك يرضيك ولكن بشرط : اني في أي شكل ظهرت به امامهما . او أي عمل عملته ان لا تسبني ولا تظهر اقل استغراب او عدم رضاء . فضحك والدها وقال : لا ريب انك تقصدين مفاجأتنا بعمل غريب اني موافق على شروطك واعملي ما تريدين ياعزيزتي اللعوبة ذات العينين السوداوين وقبل جبهتها وخرجت مسرعة للاستعداد

وعند الساعة الثانية تماماً دخلت مركبة نخمة يجرها

ستة من جياد الخيل فناء المنزل ووقفت في ناحية مكسوة بالعشب الاخضر ثم نزل منها بريستوف الكبير وصعد الى شرفة المنزل السفلى بمساعدة خادمي صاحب المنزل اللذين كانا مرتديين ملابس خدمة الاشراف ووصل على اثره نجله اليكسي ممتطياً صهوة جواده ودخل مع والده غرفة الطعام حيث كانت المائدة مهيأة . وقابل مورمسكي ضيفيه مقابلة ودية وبالغ في الحفاوة بهما واكرام وفادتهما وطلب اليهما ان يريا حديقته قبل مناولة الطعام وزريبة الوحوش وقادهما في طرق معبدة ومغطاة بالرمل فأسف بيريستوف الشيخ على تلك الاتعاب التي ذهبت بلا جدوى على تنظيم لا فائدة منه ولكنه من باب اللياقة لم يصرح بانتقاده هذا واما اليكسي فانه فلم يعر ذلك جانب الالتفات ولم يشاطر مضيفه المتكلف السرور او الارتياح ذلك لأن افكاره كانت مشغولة بغير هذا وكان ينتظر بفروغ صبر حضور ابنة رب الدار التي سمع عنها كثيراً وقد علمنا ان فؤاده كان مشغولاً بحب غيرها ولكن كل آنسة حسناء كان لها تأثير على مخيلته ونظره

ولما عادوا جلس الثلاثة حول المائدة وجعل الشيخان

يذكران ايام خدمتهما وما جرى في خلالها من الحوادث
والنوادر واما اليكسي فانه كان يفكر في الدور الذي يمثله امام
ليزا وقرر في نفسه ان خير مظهر يظهر به هو تشتت الفكر
والبرود الشديد وفيما هم على تلك الحال فتح الباب فالتفت
نحوه بعظمة وطمأنينة وبرود بحيث لو رأته على هذه الحالة
أشد النساء غنجاً وخلاعة لاضطرب فؤادها وارتعشت
أعصابها ولكن من الأسف دخلت بدل ليزا العجوز
مس جاكسون وهي مبيضة الوجه ، ضامرة الخصر ،
غاضة الطرف فذهبت بدخولها خطة اليكسي الحربية
عبثاً ولكنه ما كاد يجمع قوته ثانية حتى دخلت ليزا فوقف
الجميع وأراد أبوها أن يعرّفها بالضيفين ولكنه توقف
فجأة وعض شفتيه . ذلك لأن فتاته ليزا السمراء قد طلت
وجهها حتى أذنيها بطلاء أبيض وزججت حاجبيها زيادة عن
مس جاكسون وقد كانت سوالف شعرها أزهى من شعرها
الحقيقي وقد جعلتها على شكل قبعة الشعر المستعار لعهد لويس
التاسع عشر وكان ردائها منتفخا كثيراً وأما خصرها فقد
رفّعته جداً حتى أصبح كحرف X وتزينت بجميع حلى والدتها

الماسية التي لم يرهنها والدها في بنك الرهونات فكانت تبرق وتتلألأ في أصابعها وعنقها وأذنيها. ولم يستطع أليكسي معرفة صديقته أكولينا بهذه الفتاة اللماعة المضحكة في شكلها وزيها فصافحها والده وحذا هو حذوها وظهر له أن أصابعها كانت ترتعش في يده ثم جعل ينظر اليها من رأسها حتى أخمص قدميها فلم يعرفها. أما والدها فانه ذكر وعده لها وحاول التظاهر بعدم الاهتمام والدهشة وأما دهشة مس جاكسون فكانت عظيمة لأنها علمت في هذه الساعة ان ليزا سرقت من درج خزانتها كل شيء: صبغة الحاجبين وسوالف الشعر

جلس الجميع على المائدة وواصل أليكسي تمثيل دور المشتت الفكر العديم الاهتمام بما حوله وأما ليزا فانها أخذت في الغنج والدلال وجعلت تتكلم من بين أسنانها باللغة الفرنسية فقط. وكان أبوها لا يحول نظره عنها دون أن يفهم غرضها من هذا التصنع الغريب المضحك. وأما الانكليزية فكانت في شدة الغيظ والحنق ولكنها لم تنبس ببنت شفة. اما بيريستوف الكبير فكان كأنه في منزله وأكل نصيب اثنين وشرب حتى طفح وكان يتكلم ويضحك ويقهقه

وأخيراً نهضوا عن المائدة وسافر الضيفان وأطلق والد ليزا العنان لنفسه بالضحك وامطر على ابنته وابلا من الاسئلة عما حملها على الظهور بهذا المظهر وقال لها ألعلك اردت ان تختلي الضيفين . وكانت هي ترقص طرباً لنجاح ما ابتكرته ثم عانقت والدها وهرولت مسرعة لتستعطف مس جاكسون وتسترحمها لانها كانت في حالة غضب شديد ولم تشأ ان تفتح لها باب غرفتها لتسمع ايضاحاتها واخيراً تم الصلح بينهما . واهدتها مس جاكسون حقاً من الطلاء الابيض الانكليزي اعراباً عن رضائها عنها

واظن ان القارىء يدرك ان ليزا بادرت في اليوم التالي الى غابة المقابلات ولما وقعت عينها على أليكسي قالت له : « انك كنت ايها السيد امس عند سيد قريتنا . وكيف رأيت فتاته الحسناء ؟ فأجابها بقوله انه لم يلحظها ولم يلتفت اليها . فقالت له : اني آسفة جد الأسف . فسألها عن سبب اسفها فأجابته : كنت اريد ان اسألك : على صحة ما يقولون اني اشبهها تمام الشبه . فأجابها انها بالنسبة اليك تعد شوهاء

فقالت له : حرام عليك تقول ذلك لأن سيدتنا بضة

بيضاء وانى لي ان اقارنها بجمالها الفتان . فجعل يقسم لها بأنها اجمل منها بما لا يقاس ولكي يجعلها تطمئن اخذ يصف لها ابنة مورومسكي وملامحها المضحكة . فقهقهت ليزا بكل قوتها وقالت : ولو ان سيدتنا مضحكة كما تقول فاني بالنسبة اليها حمقاء جاهلة أمية . فقال لها معزياً : اني اعلمك القراءة بسرعة زائدة فأظهرت الفتاة ارتياحها ثم جلسا واخرج اليكسي من جيبه قلم رصاص ودفتراً وكتب على صفحة منه الحروف الهجائية فتعلمتها ليزا بسرعة ادهشت الشاب . وفي اليوم التالي حاولت الكتابة امامه فلم يطاوعها قلم الرصاص اولا ولكنها بعد عدة دقائق كتبت الحروف جميعها وقرأتها . فقال اليكسي مندهشاً ان درسنا ناجح جداً واسرع من طريقة لانكاستير وفي الحقيقة فانه بعد الدرس الثالث جعلت اكولينا تقرأ الجمل الصغيرة من رواية كانت مع معلمها .

وبعد اسبوع أخذا يكاتبان بعضهما . وجعلا ادارة البريد عند شجرة سنديان قديمة العهد وقامت الوصيفة ناستيا بوظيفة موزع الرسائل وكان اليكسي يسلمها رسائله عند الشجرة وهي مكتوبة بخط ثلث واضح ويستلم منها رسائل

حبيبته المكتوبة بخط رديء كخط الفتيات والصبيان المبتدئين بتعلم القراءة وهي مكتوبة على ورق أزرق بسيط

ومع الوقت تحسن خط أكولينا وارتقت عبارة كتابتها وفي نفس هذا الوقت ازدادت صداقة بيريستوف ومورومسكي وثوقاً واصبحا صديقين حميمين وفكر الاخير هذا بأنه بعد وفاة بيريستوف سيرث ابنه اليكسي أملاكه ويصبح أكبر وأغنى مزارع في تلك الولاية ولا يوجد شيء يحول بينه وبين الزواج بكريمته ليزا وبيريستوف مع انتقاده لتكلنز جاره يرى فيه بعض الصفات الطيبة. وكان مورومسكي من أقرباء الغراف برونسكي وهو رجل نبيل وذو نفوذ عظيم فقال بيريستوف في نفسه لا ريب أن الغراف ينفع اليكسي منفعة محسوسة ثم أن مورومسكي يرضى بسرور وارتياح اعطاء ابنته لأليكسي. كان كل من الشيخين يفكر بهذا منفرداً وأخير تحدثا به وتعانقا وأخذ كل منهما يعد العدة الى تنفيذه ووجد مورومسكي صعوبة بمفاتحة ابنته بهذا الشأن واقناعها بالزواج من اليكسي الذي لم تره بعد أن تناول الطعام على مائدة والدها وزعم أنهما لم يتحابا ولا أعجب الواحد الآخر ومن

جهة أخرى كلما كان بيريستوف يزور والدها تختفي في غرفتها وزعم انه لو زارهما اليكسي كل يوم لألفته ابنته وأحبته مع مرور الوقت

وكان بيريستوف اقل اضطراباً بنجاح مقاصده ودعا في ذلك المساء ابنه الى مكتبه وبعد أن أشعل غليونه وتلذذ بالتدخين قال له : أراك يا اليكسي من زمن بعيد سكتّ عن خدمة الجندية وهل أن رداء الفرسان غدا لا يغويك

فأجاب اليكسي والده باحترام بقوله : كلا يا والدي ! فقد رأيت أن رداء الهوسار لا يعجبك وواجبي يقضي علي بطاعة والدى

— حسناً جداً وأرى انك ابن بار طائع وذلك اكبر سلوى لي في شيخوختي وأني لا أقف حائلا بينك وبين حرية الارادة ولكني أريد تزويجك

— بمن يا أبي ! أجابه اليكسي وهو مندهش

— بليزا كريمة جارنا مورومسكي الفتاة الحسناء

— اني يا أبي لم أفكر للآن بالزواج

— انك لم تفكر ولكني فكرت عنك وصحت عزيمتي على ذلك

— الأمر أمرك ياوالدي ولكن ليزا مورومسكي لم تعجبني ولم تصادف هوى في نفسي

— ستعجبك فيما بعد والصبر مفتاح الفرج

— أشعر بنفسي انني لست جديراً بجعلها سعيدة

— ان سعادتها ليست حزناً لك وعلى كل حال احترم طاعة والدك وانزل على ارادته ففي ذلك نفعك

— قل ما تريد ، اني لا أريد الزواج

— يجب عليك أن تتزوج والا فاني العنك وأما أملاكي فالله القدوس يعلم اني أبيعها وابدد أثمانها ولا أترك لك وسادة واني امهلك ثلاثة ايام للتروي والتفكير وقبل هذا لا تريني وجهك

وكان اليكسي يعلم أن والده اذا قطع عهداً أو قال قولا لا يرجع عنه فذهب الى غرفته وجعل يفكر بحكم السلطة الوالدية الجائرة وبليزا وبوعيد والده بتركه فقيراً مسكيناً

لا يملك ما يسد به رمقه ثم بأكولينا التي رأى لاول مرة أنه يحبها حباً يشبه العبادة وقد خطر له خاطر غرامي وهو أن يتزوج بالقروية الساذجة ويعيش من عرق جبينه وكد يمينه ووجد في هذه الفكرة بعد التروي خير حل لموقفه الحرج

وكانت المقابلات بينه وبين أكولينا في الغابة توقفت بسبب الامطار فكتب الى أكولينا رسالة بخط واضح جلي كبير الحروف أخبرها به عما ينتظره من الهلاك والوبال وطلب يدها في ختام الرسالة وحملها بنفسه الى جوف السنديانة ونام بعد ذلك نوماً عميقاً

وفي اليوم التالي استيقظ مبكراً وهو ثابت على عزمه وعزم على السفر الى منزل مورومسكي ليفاوضه بالامر بايضاح وصراحة ورجا أنه يستفز فيه شهامته ويستميله الى مساعدته ولما وقف بجواده أمام باب منزل مورومسكي سأل عن وجوده

فأجابه الخادم أنه سافر في الصباح فأسف الفتى لذلك وسأل الخادم وهل كريمته ليزا موجودة !

— نعم ياسيدي ان حضرتها في المنزل

فترجل اليكسي عن جواده ودفع مقوده للخادم ودخل المنزل بدون أن يعلم عن قدومه وقال وهو سائر الى غرفة الاستقبال سيتم كل شيء على ما أريد فأني سأتفاهم مع ليزا بدون وساطة أحد ، دخل وجثم مكانه لايبدي حراكا بل قل أنه ذهل ولم يصدق ما ترى عيناه . . . . رأى ليزا وقال : كلا هذه أكولينا ! لم يرها في الجلباب الفضفاض بل برداء الصباح جالسة بجوار النافذة تقرأ رسالته . وكانت مشغولة بقراءتها لدرجة انها لم تلحظ ولم تشعر بدخوله عليها ولم يستطع اليكسي ان يضبط نفسه عن صراخ الفرح . فانتفضت ليزا كعصفور بلله القطر ورفعت رأسها وصرخت وحاولت الفرار فهجم عليها وامسك بها وقال : اكولينا ! اكولينا ! ولكن ليزا حاولت التخلص منه وقالت له بالفرنسية : اتركني يا سيد وشأني وكررت عبارتها مراراً ، فصاح اليكسي اكولينا ! اكولينا كرر ذلك وهو يقبل يديها . شاهدت المس جاكسون هذا الدور ولم تدر ما تقول

او ما تظن وفي هذه اللحظة فتح الباب ودخل غريغوري ايفانوفيتش والد ليزا وقال يظهر ان الأمر بينكما قد تم على ما يرام فليكن كذلك . . . .

واني ارجو القاريء الكريم ان ينقذني ويعفيني من واجب الاسهاب في وصف النتيجة فقد يستطيع كل قاريء ان يدركها ويتلذذ بها ويشاطر العروسين وآلهما في افراحهم وارتياحهم لتلك النتيجة المفاجئة



أحد ملوك الجمهورية

للكاتب الروسي المتفنن مكسيم غوركي

ان ملوك الحديد والفولاذ والبترول في الولايات المتحدة كانوا دائما أبدا يشغلون افكاري لانني كنت واثقاً تمام الوثوق بأن اصحاب الملايين من الدنانير لا يمكن أن يماثلوا البشر بل انهم من فصيله خاصة

كنت اتصور أن لكل واحد منهم على الاقل ثلث معدو في فم كل منهم مائة وخمسون سنا وكنت اعتقد ان صاحب المليون لا عمل له في كل يوم غير الأكل حيث ينهض من النوم عند الساعة السادسة صباحاً ويسرع حالا لالتهام الطعام حتى الساعة الثانية عشرة مساء دون أن يتخلل ذلك شيء من الراحة وانه يستعمل في طعامه أفخر الماكولات كالاوز والديوك الرومية والخنانيص والخراف الصغيرة والدجاج وسائر انواع الحلوى وافخر الفواكه وأغلاها ثمنا واذا جاء المساء وكلّ فكاه عن مضغ الطعام يأمر الزنوج فيمضغونه له ويضعونه في فمه فيزدرده ازدراداً وبعد حشو معده بالطعام يفقد النشاط والحركة

ويأخذ العرق يتصبب من جسمه فيحمله الزنوج الى سريره حيث ينام نوما ثقيلا حتى اذا وافت الساعة السادسة من صباح اليوم التالي ينهض ويعود الى ما كان عليه بالأمس من التهام الطعام وعلى هذا المثال يقضي حياته التعيسة

وهذه النفقات الطائلة التي ينفقها على طعامه لا تبلغ نصف دخله من فائدة أمواله ولا يخفى ان هذة العيشة ثقيلة متعبة ولكن صاحب المليون مدفوع اليها بحكم الثروة الكبيرة واذا لم يعش على تلك الصورد التي ذكرناها فلافارق بينه وبين ادنى الناس

وكنت أظن ان قمصان وسراويل صاحب المليون منسوجة من خيوط ذهبية وان مسامير نعل حذائه ايضاً من خالص الذهب ويرتدي على رأسه بدلا من البرنيطة قبعة مصنوعة على نمط خاص به مرصعة بالجواهر والدر وسائر انواع الحجارة الكريمةوان رداءه الخارجي(السترة)خيط من افخر الحرير واغلاه ثمنا ولا يقل طوله عن مائة متر مزدان بثلاثمائة زر من الذهب النقي وانه فى ايام الاعياد يرتدي ثماني سترات واثني عشر بنطلونا ومع ان ذلك يبهظ

جسمه ولكنه يتحمل ذلك بسرور ليمتاز عن سائر الناس في كل شيء وكنت اتصور ان جيب صاحب المليون عبارة عن هوة عميقة يستطيع ان يخفي فيه الكنيسة ودار الندوة العمومية وكل شيء اراده واذا تصورت جوفه فكان في نظري لا يقل اتساعه عن مخزن احدى البواخر البحرية الكبيرة الحجم ولكني مع كل هذه التصورات ما كنت اقدر ان اتصور طول رجليه ورجلي بنطلونه ولكني ظننت ان اللحاف الذي ينام تحته صاحب المليون لا يقل طوله عن ميل مربع وتصورت ايضا انه اذا كان من المغرمين بمضغ التبغ فانه يلقي في فمه دفعة واحدة كمية من اجوده لا تقل عن رطلين واذا كان من المغرمين في استنشاقه فانه يضع من مسحوقه المعروف بالنشوق كمية في انفه لا يقل وزنها عن الرطل وهو معذور فيما يفعله لان النقود تطلب انفاقها

واما اصابع يديه فانها عجيبة مدهشة ليست كأصابع الناس المعروفة وقد اختفت فيها قوة سحرية بحيث يمدها الى ابعاد شاسعة اذا شاء ثم يرجعها الى حالتها المعتادة حتى انه لو كان جالساً في نيويورك وبلغه بأن دولاراً نبت في سيبيريا

فانه يمد اصابعه من فوق بوغاز بيرين ويقتلع الدولار الذي نبت في ارض سيبيريا وهو جالس على مقعده

ومع كل ما تصورته من هذه التصورات فأني لم استطع تصور رأس صاحب المليون الذي اتخيله بأنه لا يقل عن احد المردة وانما كنت أظن انه في غنى عن الرأس مادام له تلك الاعضاء الضخمة والفم الواسع والطول المتناهي والاصابع السحرية التي كلها تمصر الذهب عصراً وبوجه الاجمال فاني اجهدت القريحة جهد الطاقة وحصرت كل قواي العقلية لاستطيع تمثل وتصور صاحب الملايين فذهبت اتعابي العقلية سدى

ولكن لا اقدر ان اصف لك ايها القاريء الكريم عظم الدهش والحيرة والاضطراب التي وقعت عليّ عند ما اتاح لي الزمان مشاهدة صاحب الملايين وانه لايفرق في شيء مطلقا عن بقية الناس

رأيت أمامي رجلا شيخا نحيف الجسم حليق الذقن صغير اليدين كباقي الناس وقد سقطت اسنانه فاستبدلها بأسنان اصطناعية من الذهب وكذلك تساقط شعر حاجبيه

ورأسه وبوجه الاجمال فان الشخص الجالس امامي لم يكن يفرق في شيء عن طفل صغير ابن ساعته ويصعب على كل واحد ان يحكم هل هو في بدء حياته ام في منتهاها

واما ملابسه فهي قريبة الشبه من ملابس ميّت من عامة الناس وفي يده خاتم ذهب وعلى صدره سلسلة ذهبية واسنانه ايضاً من الذهب كما قدمنا واذا وزن الذهب المتحلي به فلا يزيد عن مثقال وكل انسان يتصور خدَمة الدوقات في فرنسا ورأى رسومهم لا يشك الا بأن هذا الرجل واحد منهم وقد استقبلني في غرفة ليس فيها شيء من الرياش الفاخر والداخل اليها يظنها من اول وهلة أنها اصطبل افيال لا قاعة استقبال

ولما وقفت امامه سألته قائلا هل انت صاحب الملايين ؟

فأحنى رأسه وقال نعم انا هو ذلك الرجل

فتظاهرت بتصديق كلامه ولكن اردت ان اتحقق تصوراتي السابقة بشأنه فسألته مستفسراً عن كمية اللحم التي يستطيع اكلها على طعام الصباح ؟ فاجاب اني لا آكل لحماً في الصباح مطلقاً وانما اتناول نصف برتقالة وبيضة وكأساً

صغيراً من الشاي قال ذلك وابرقت عيناه ولم أر فيهما شيئاً من الـكذب

ثم قلت له ارجوك ان تعلمني كم مرة تأكل في النهار ؟

فاجاب بكل سكينة اني اتناول الطعام دفعتين في اليوم في الصباح والظهر واتناول على الغداء صحناً من الحساء وصحناً من اللحم الابيض وشيئاً من الحلوى والفاكهة وفنجال قهوة ولفافه تبغ

فقلت له واذا كان الامر كما ذكرت فما تفعل بقناطير المال المقنطرة المحشودة في خزائنك ؟

فابرقت عيناه واختلج حاجباه وارتفع كتفاه وقال اصنع من نقودي نقوداً أخرى

فقلت له بسرعة ولماذا تصنع النقود ؟

لأزيد ثروتي اتساعاً

فقلت وما الفائدة في تلك الزيادة !

فقام عن مقعده ودنا مني ووضع يده على كتفي وسألني قائلا هل أنت في عقلك أم أنت معتوه ؟

فأجبته من ساعتي وانت ايهما العاقل ام المعتوه ؟

فاطرق ملياً وقال : الجنون فنون والحق اني اول مرة في حياتي ارى رجلا مثلك ثم تثاءب حتى كادت شفتاه تلتصق بأذنيه ثم اخذ يتفرس فيّ وينظر اليّ من رأسي حتى قدمي ولحظت من وجهه انه يعد نفسه انساناً طبيعياً كسائر الناس ولحظت ان في ربطة عنقه دبوساً صغيراً من الزمرد وبعد برهة ساد فيها السكوت سألته ما هو العمل الذي يتعاطاه فاجاب اتعاطى مهنة عمل النقود ؟

اما انا فاطرقت مفكراً ثم لاح لي جواب زعمت انه فصل الخطاب فقلت له : انك اذن مزيف نقود فلما سمع مني ذلك انتفض كعصفور بلله القطر ولاح الغضب في عينيه ولبث برهة صامتاً جامداً لا يبدي حراكا ثم اخذت السكينة تعود اليه وكست وجهه علامات السرور : وقال هل لك شيء آخر تسأل عنه

فافتكرت وبدا لي سؤال جديد سألته اياه قائلا كيف تصنع النقود ؟

— سؤالك هذا معقول والاجابة عليه في غاية السهولة اني انشأت كثيراً من الخطوط الحديدية التي تخترق

البلاد عرضاً وطولا ولي معامل لا تحصى يعمل فيها الوف العمال . فالمعامل تصنع البضائع والسكك الحديدية تنقلها الى البلاد وتطرحها في الاسواق وبذلك تنهال عليّ الارباح انهيال السيل ولكن لا تنسى ما أدفعه من الاجور لعمال المعامل حتى لا يقضوا جوعا

— وهل ترى جميع العمال مسرورون من حالتهم : راضون بالاجور التي يتقاضونها :

— ليس كلهم بالطبع فان الانسان مهما سعى في سبيل ارضاء الناس فلا يستطيع الى ذلك سبيلا

— ثم سألته هل الحكومة لا تتداخل في شؤونكم ولا تعطل سير أعمالكم ؟

— فقال معيداً ما قلت — الحكومة — واطرق ملياً ثم ابرقت اسرته كأنه توصل الى حل معمى أظنك تريد اولئك الرجال المقيمين في واشنطون كلا . كلا انهم لا يصادروننا في أعمالنا مطلقا ولا يتداخلون فيها أقل مداخلة واعرف بينهم أشخاصا من أهالي جهتنا هذه ولكن لا اجتمع بهم الا نادراً ولذلك فلا تعجب اذا قلت لك أنهم لا يخطرون على بالي أو

اني أنسى ذكرهم وأسماءهم وبوجه الاجمال فان رجال حكومتنا قوم أخيار لا يصادروننا أقل مصادرة ولكني أريد أن أسألك هل توجد في العالم حكومة تحظر على رعاياها صنع النقود وتصادرهم في ذلك ؟

فأجبته وأنا معجب بحكمته آسف على فضولي قائلا : زعمت أنه توجد حكومات تصادر النهب العلني وتسعى الى منعه بالضرب على أيدي النهابين السلابين الذين يستحلون اتعاب غيرهم

— فقال مغضباً : أن هذا لا يفرق بعرفي في شيء عن الفوضوية التي ليس لها أثر في بلادنا وحكومتنا لا تتداخل مطلقاً في الشؤون العامة وفوق ذلك فان قوانين البلاد لا تبيح لها ذلك مطلقاً

فقلت له انك اذاً تعتقد بأنه اذا ابتز رجل واحد دماء وأموال الوف من الرجال والناس لا يعتبر عمله هذا من الشؤون العامة التي يجب على الحكومة المداخلة في شأنها لايقاف جشع ذلك الرجل وكف مطامعه بل وعقابه على

فعله أو ما سمعت قول فكتور هوجو الشاعر الفرنسي القائل (١)

قتل امرئٍ في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر
والحق للقوة لا يعطاه الا من ظفر
ذي حالة الدنيا فكن من شرها على حذر

فتغيرت سحنته وقال مكرراً — قتل الشعب — سلبه — ابتزاز امواله — كلمات وان اختلفت في اللفظ فانها تؤدي الى معنى واحد ليس له ظل في بلادنا وإنما هي تكون في بلاد ارتفعت فيها أجور الفعلة ارتفاعاً فاحشاً واعتاد رجال الاشغال فيها على الاضراب عن العمل أو الجنوح الى الاعتصاب ولا يوجد في بلادنا شيء من ذلك لان المهاجرين ينسلون اليها من كل حدب وصوب افواجاً افواجا وكثرة عددهم تخفض اجور الفعلة الاميركيين الذين اذا

---

(١) (المعرب) رأيت المعنى الذي استشهد به المؤلف من قول فيكتور هوجو منقولا الى العربية نظماً بقلم فقيد الادب المرحوم اديب بك اسحق فأخذته كما هو

اعتصبوا بدعوى قلة الاجور يحل محلهم عن طيبة خاطر وسرور المهاجرون الذين كلما ازداد عددهم قلت اجورهم وهم بالطبع ينفقون ما يحصلونه في البلاد التي تجني من ورائهم فوائد جمة.

قال ذلك وابرقت أسرته واصبح وجهه يشبه وجه شيخ وطفل مزجا مما نخرج منهما صورة واضحة ممزوجة وقد انطلق لسانه وزاد نشاطه واستطرد الكلام فقال : سؤالك بشأن الحكومة سؤال في غاية الاهمية ولا تحسن حال أمة الا اذا حسنت حالة حكومتها واتصف رجالها بالاوصاف السامية والحكومة تحل مسائل عديدة منها أنه ينبغي أن يكون عدد سكان البلاد وافراً ليستطيعوا ابتياع البضائع التي تصدرها معاملي وينبغي أن يكون عدد العمال في البلاد وافراً لاستطيع أن آخذ العدد اللازم لمعاملي واطياني وفي مثل هذه الحاله لا يكون أثر في البلاد للاشترا كيين ولا للاعتصاب والحكومة لا ينبغي عليها أن تبهظ كاهل الرعايا بالضرائب الفادحة حتى يتوفر لدى الامة المال وتبتاع به من معاملي . وحكومة مثل هذه هي بعرفي حكومة عادلة

جيدة ولاحت على وجهه المضحك امارات السخافة والحماقة
وازبأرّ كالأسد حتى خلت ان امامي ملكا من الملوك يمتز
بجبروته وسلطته ولا غرو فهو ملك وأي ملك ثم استطرد
الكلام ايضاً وقال واريد من الحكومة أن تعين برواتب
طفيفة عدة من الفلاسفة يعلمون الشعب في أيام الآحاد
كيفية اتباع القانون والسير بموجبه بحيث يستمر كل
فيلسوف مدة ثماني ساعات متوالية يلقي عظاته وحكمه
المؤثرة واذا لم يكف عدد الفلاسفة في البلاد تعهد ذلك الى
الجنود ومتى تيسر للحكومة القيام بهذا العمل الهام وسار
الشعب على محور القانون تتوفر في البلاد اسباب السعادة
والصفاء

— ولما انهى كلامه قدمت له سؤالا آخر وهو هل
انت راض عن الحكومة الاميركية الحاضرة

فأبطأ في الاجابة واطرق رأسه مفكراً ثم رفعه وقال
ان حكومتنا تعمل اقل مما هو مطلوب منها فانه يتحتم عليها
ان تسهل سبل المهاجرة للبلاد حتى يزداد عدد المهاجرين
ولكن الحكومة تدعي بان اميركا حرة النظامات والمهاجرون

الداخلون اليها يتمتعون بالحرية السياسية ولذلك ينبغي عليهم عند دخولهم البلاد أن يدفعوا لها ثمن هذه الحرية التي لم يذوقوا طعمها في بلادهم وفرضت على كل مهاجر أن يكون معه عند دخوله البلاد ٥٠٠ دولار وهي كما ترى محقة في صنعها هذا لأن الرجل الذي يملك ٥٠٠ دولار خير من صاحب الخمسين بل يفضله عشر مرات وهو على كل حال خير من المتشردين والمرضى والبائسين الذين لا ينفعون البلاد أقل منفعة بل هم عالة على اكتافها

— فقلت له ولكن هذه الشرط ينقص عدد المهاجرين فاجابني في الحال قائلا : اني أرى انه ينبغي على الحكومة أن تمنع المهاجرة بعد حين من الزمن وهي مصيبة الآن في فرضها على كل داخل بلادها أن يكون لديه شيء من المال النافع للبلاد ثم بعد أجل ترفع القيمة التي كما أشرت آنفا يدفعها المهاجر ثمنا لتمتعه بالحقوق المدنية كما يتمتع بها الرعايا الاميركيون سواء بسواء . وبعد ردح من الزمن ينبغي حرمان المهاجرين من التمتع بالحقوق المدنية التي يتمتع بها أهالي البلاد لان عدد الاميركيين اصبح كافيا ولا فائدة من زيادته وكل اميركي

يستطيع على حدة أن يعمل لزيادة عدد مواطنيه وجميع ماذكرت لك من الشؤون من خصائص الحكومةوهى تبدل وتغير وتغير وتبدل في النظامات على حسب مايتراءى لهاوهي تظن انها تتوخى خير البلاد ونفعها والذي أراه أن رجال الحكومة لايستطيعون ادراك المنافع الحقيقية التي تعود على البلاد بالخير الوفير والنعم الجزيلة الا اذا ابتاع كل واحد منهم اسهما كثيرة من الشركات التجارية والزراعية والصناعيةواما الآن فانهم لايدركونها حق الادراك ولذلك تراني وغيري من اصحاب الاموال نضطر الى ابتياع اعضاء مجلس البرلمان والمجالس الأخرى وندس لهم المبالغ الوافرة لنستطيع الحصول على ماتتمناه من التغيير في نظام البلاد حتى يكون ذلك في غاية الموافقة لمصالحنا وعندما لفظ هذه العبارة تنهد الصعداء وقال وانك لترى انه لايحسن حال العيش الا اذا انهال الذهب فيه كالسيل المنهمر

اما انا فلما وقفت منه على رأيه السياسي وجهت اليه سؤالا جديدا فقلت له وما رأيك في الدين ؟

فضرب بيده على فخذه ورفع حاجبيه وقال ان رأيي في

الدين مصيب كل الاصابة واعتقد انه ضروري للشعب وبدونه لاتسير الاعمال على محور النشاط والخضوع وازيدك علما اني في أيام الآحاد أعلو منبر الوعظ والبث واقفا مدة طويلة أعظ الشعب ولاسيما جمهور الفقراء والعمال فسألته مستفسراً ماذا تقول لهم وما هو موضوع عظاتك ؟

— فاجاب اخاطب الشعب هكذا : اخوتي واخواني !

لا تخضعوا لعوامل تأثير شيطان الحسد . واطردوا من رؤوسكم كل فكر ارضي ووجهوا ابصاركم وافكاركم الى السماء لأن الحياة على هذه الارض قصيرة تمر مر الطيف والانسان يعد عاملا نافعا الى السنة الاربعين من عمره فاذا جاوز ذلك السن يعجز عن العمل ولا يقبل في المعامل بل يطرد منها طرداً والحياة كما لا يخفاكم مملوءة بالاكدار والاوزار، انتم تشتغلون ولكنكم معرضون دائما ابدا لاخطار الآلات البخارية التي كثيراً ما تقطع ايديكم او ارجلكم. انتم معرضون دائما لضربة الشمس وتهددكم في كل اين وآونة الامراض الفتاكة وما مثل الفقير الا كمثل الاعمى الواقف على سطح منزل شاهق البنيان اينما سار يسقط ويتهشم وقد قال بهذا الشأن يعقوب الرسول

اخو الرسول يهوذا ما يأتي :

يا إخوتي لا تهتموا بالحياة الارضية لأنها من صنع الشيطان قاتل الارواح ومضلّ النفوس . ان مملكتكم يا أولاد المسيح الاعزاء ليست من هذا العالم بل هي من السماء واذا تحملتم بصبر وتجلد دون تذمر متاعب هذه الحياة فانكم تنهون معيشتكم بهدوء وسكينة وان أباكم السماوي يقبلكم في مساكن الفردوس الكثيرة ويكافئكم على أتعابكم الارضية بسعادة ابدية لا يفنيها الفناء وقال ايضاً يهوذا الرسول : أن هذه الحياة ليست الا مطهرة للنفوس . وبمقدار ماتتحملون من المشاق على هذه الارض الفانية بمقدار ذلك تنتظركم سعادة عظمى وغبطة ابدية في ملكوت السموات

ثم أشار بأصبعه الى سقف الغرفة وأطرق رأسه مفكراً ثم استطرد الكلام فقال :

أجل ! . . اخوتي الاعزاء : ان هذه الحياة فانية فارغة لا قيمة لها ويحتم علينا الدين ان نقدمها ضحية على مذبح محبة القريب ايّاً كان فلا تخضعوا قلوبكم لسلطة شيطان الحسد والشهوات . لاشك في انكم تشتهون الحصول على الخيرات

الارضية ولكنها يا إخوتي خيرات فانية باطلة تشبة الظل السريع الزوال وماهي الا من آلاعيب الشيطان التي يزينها ويغرر بها الناس ويخدعهم بها ، ايها الاخوة سنموت جميعا الاغنياء والفقراء والملوك والمعدنون واصحاب الملايين والذين يكنسون الازقة وينظفون الاحذية كلنا امام الموت سواء ولكن هنالك فى الاخرى سيكون الفرق جسيما بين الناس لأن المعدنين قضوا الحياة في قطع الفحم من مناجم الفحم الحجرية يصبحون ملوكا فى الحياة الثانيةويصبح ملوك الارض خدمة لهم يحملون المكانس ويكنسون بها اوراق الاشجار المتساقطة من ادواح الفردوس ثم يكنسون قراطيس الحلوى الفارغة التي ستكون لكم غذاء يوميا في الفردوس

ايها الاخوة !.. ماذا يشتهي الانسان على الارض التي هي عبارة عن غابة مظلمة مملوءة بالخطايا والآثام تضل فيها النفس كطفل صغير ، اذهبوا الى الفردوس من طريق المحبة والوداعة والتواضع تحملوا بصبر ما تسوقة اليكم صروف الزمان وطوارق الحدثان . حبوا جميع الناس حتى الذين يهينونكم ويزدرون بكم ويحقرون شأنكم وعند هذه النقطة

. من كلامة أغمض عينيه وانتفض وهو جالس في كرسيه واستطرد الكلام فقال :

صموا آذانكم عن سماع كلام اولئك الناس الذين يحركون في قلوبكم حاسة الحسد بقولهم انكم انتم فقراء بائسون تتحملون مشاق هذه الحياة وتعملون الاعمال التي تهدم بنيان اجسامكم وتخدمون الاغنياء الذين يرتعون في بحابح العز والراحة ويرفلون بمطارف الخز والديباج ومع انكم انتم علة ثروتهم واساس سعادتهم فانهم يسوموكم انواع العذاب والهوان ويدفعون لكم اجوراً طفيفة لا تساوي جزءاً من العمل الذي تقومون به . لا تصغوا يا اخوتي لكلام هؤلاء الناس الذين ليس له دليل يؤيد صحته وهم في الحقيقة ونفس الواقع رسل الشيطان ونذيرو الشر والفساد. فان الله تعالى قد حرم الحسد على عباده وتوعد الحساد بالويل والثبور وعظائم الأمور. ان الاغنياء ايها الاخوة فقراء محتاجون الى المحبة لأن الناس يبغضونهم ويحسدونهم دون سبب يدعو الى ذلك فحبوا الغني ايها الاخوة لأنه مصطفى من الله جل جلاله . قال الرسول يهوذا أخو الرب واول كاهن لهيكل الله: ايها الاخوة

لاتلتفتوا للمساواة بالناس على الارض ولا ترضخوا لتحريضات الشيطان الذي يقودكم الى الهلاك ، ان مساواة الناس لبعضهم على هذه الارض الفانية لا قيمة لها بل ان الذى يسعى اليها يضل الصراط القويم ويقود نفسه الى ارتكاب الشر . والاجدر بكم أن تبذلوا الوسع لتكونوا متساوين امام الله بطهارة النفس . فاحملوا بصبر صليبكم (اتعابكم) والتواضع يخفف عليكم هذا العبء الثقيل . الله معكم يا اولادي . وأرى انكم لستم في حاجة أخرى الى غير ما قلته لكم والسلام عليكم

ثم صمت هذا العجوز وفتح فمه فابرقت أسنانه الذهبية وتفرس فيّ وعلامات السرور بادية على وجهه

ـ فقلت له انك تنتفع بالدين انتفاعا عظيما وتستعمله كآلة حادة للوصول الى اغراضك

ـ فقال . لاريب فى ذلك لأني اقدر الدين حق قدره وواثق كل الوثوق بانه ضروري للفقراء وبدونه لاتسير أعمالهم على محور النشاط والثبات والدين يعجبني جداً وأعيد لك القول مؤكداً ان الدين لا بد منه ويتحتم علينا معاشر الاغنياء أن نبذل النفس والنفيس فى سبيل توطيد دعائمه في قلوبهم

ورسوخ عقائده في نفوسهم حتي يعتقدوا اعتقاداً لا يتزعزع بان كل شيء في هذه الحياة الدنيا من صنع الشيطان وفي جنوحهم وتطلعهم اليه يحرمون الغبطة في الحياة الاُخرى الابدية . الا تعلم أن الدين يقول « أيها الانسان اذا أردت خلاص نفسك لا تشته شيئاً من متاع الدنيا الفانية ولا تتطلع الى شأن من شؤونها الزائلة وزخارفها الباطلة لانك ستكافأ في الحياة الاُخرى حيث ترتع في جنان الخلد في بحبوحة العيش ورياض السعادة وكل شيء في السماء هولك » فاذا رسخت هذه المتقدات في نفوس الناس سهل علينا العمل معهم وسهل انقيادهم الينا. أجل ان الدين هو بمثابة الزيت الذي كلما زدنا في صبه ودهن أداة الحياة به كلما لانت بقية ادواتها وسهل ادارتها واستعمالها كيفما نشاء

فحكمت في نفسي انه ملك ثم وجهت الى هذا الرجل الذي حكمت بأنه متسلسل من فصيلة رعاة الخنازير السؤال الاتي

— وهل تعد نفسك مسيحياً بجميع معنى الكلمة ؟

— لاريب في ذلك ثم رفع يده وقال ولكنني في الوقت

نفسه أميركي وكل اميركي له مبدأ خاص يتمسك به ولا يحيد عنه يميناً او شمالا . ثم تغيرت سحنته ومد شفتيه وحرك أذنيه حتى كادتا تبلغان أنفه وافتكر ملياً ثم قال بصوت خافت يكاد لا يسمع : اعترف لك فيما بيننا بشيء أرجو أن تبالغ في كتمانه وهو انه يستحيل على كل أميركي أن يعتقد بالمسيح كما يعتقد به جميع المسيحيين، فاضطربت لدى سماعي ذلك منه وقلت له ارجوك أن تزيدني ايضاحا ؟

— فقال مكرراً يستحيل على الاميركي الاعتراف بالمسيح بل واحترامه لأنه لا والد له معروف اوبعبارة أخرى انه ابن غير شرعي ومثل هذا لا يمكن أن يكون في أميركا إلها حتى ولا موظفاً ولا يقبله أحد في المحافل والمجتمعات ولا ترضى أدنى الفتيات بالتزوج به ونحن الاميركيين بهذا المعنى لا يماثلنا في الدنيا أحد واذا اعتقدنا بالمسيح فاننا مضطرون بالاعتراف لجميع الاولاد الغير الشرعيين بأنهم أشخاص من أصل ثابت ونسب معروف حتى ولو كانوا من ابناء الزنوج الذين يتزوجون النساء البيض ويلدونهن اولاداً شرعيين ولذلك فاننا معشر الاميركيين معذورون في اعتقادنا هذا وتصريحنا به ، ثم

اخضر سواد عينيه فظهرتا لي مستديرتين كعيني البوم ثم جذب شفته السفلى الى فوق وضغط بها على اسنانه زاعماً انه بمسخ وجهه على هذا الشكل يصبح مخيفاً مرهباً للناظر

— فقلت له سائلا وبناء على ماصرحت به فانكم معاشر الاميركيين لاتعدون الزنوج من البشر بل ولاتعتبرونهم ؟

فاجاب لله ما اقل خبرتك وأضعف حكمك ! . . . وهل ترتاب في اننا نحتقر الزنوج ونعتبرهم أدنى الناس وأحطهم مقاما فهم سود الالوان وتخرج من اجسامهم رائحة كريهة ولذلك ترانا نراقب الزنوج أشد مراقبة حتى اذا علمنا بأن أحدهم تزوج امرأة بيضاء نقبض عليه ونربط عنقه بحبل ونعلقه في الحال على شجرة حيث يموت مشنوقاً

ولما قال ذلك شعرت انه طعن فؤادي طعنة نجلاء ودبت في الحال في قلبي عوامل البغض حتى اصبحت بقربه كأني جالس بالقرب من جيفة منتنة تعافها النفوس ولكنني تحملت بصبر وحكمت على نفسي بالمكوث عنده ذلك لاني قصدته لعمل وينبغي عليّ ان أتممه مهما تحملت في سبيل ذلك من المكاره والمشاق توصلا الى اظهار كيفية نظر هؤلاء الناس

أصحاب الملايين الى الحقوق المتبادلة والصدق والحرية والمساواة المتعارفة عند أفاضل الناس وعقلائهم ولذلك سألته قائلا : ما رأيكم في الاشتراكية ؟ وكيف تنظرون الى الاشتراكيين ؟

— فاجاب من ساعته : انهم أبناء الشيطان . والاشتراكيون رمل في الآلة التي تدير حركة الحياة بل هم رمل يدخل بدون استئذان بين جميع الهيئة الاجتماعية فيعطل حركتها ويفسد سيرها ولذلك يتحتم على كل حكومة طيبة منصفة أن تستأصل الاشتراكيين من بلادها . وهذه الطغمة الفاسدة تولد في أميركا مما يدل على أن رجال الحكومة في واشنطون مقصرون في أعمالهم كل التقصير ولا يدركون المسائل الاجتماعية المطلوبة منهم ولو كانوا كذلك لما تأخروا ساعة واحدة عن حرمان الاشتراكيين من جميع الحقوق المدنية وبعرفي أنه يجب على الحكومة أن تكون أقرب مما هي عليه الآن من مرافق الحياة ولا يتأتى لها ذلك الا اذا كان الرجال الذين تتألف منهم مأخوذون من أصحاب الملايين

— فقلت له أظن انك أنت رجل نافع للبلاد ؟

— فاجاب من فوزه أجل اني نافع جداً وذهبت عن وجهه العلامات الصبيانية ولاحت عليه الاسارير وقال واعلم ان رأس الاشتراكيين مملوء بالكفر والالحاد كما أن معدهم مملوءة بالفوضوية وأما نفوسهم فانها مظللة باجنحة الشياطين فاصبحت تنفث الجنون والشر ولا تفوز الحكومة على الاشتراكيين وتستأصلهم من البلاد الا بقوة الدين والجنود فان قوة الدين تحارب الكفر والجنود يحاربون الفوضوية ففي بدء الامر نصبّ في رأس الاشتراكي مقادير عظيمة من رصاص التعليم الكنائسي فان اتعظ وعاد الى الصواب وشفي من جنونه والا فاننا نعهد الى الجنود صب الرصاص في بطونهم حتى يمزقها أرباً أرباً ثم قال بعد ذلك : ما أعظم قوة الشيطان ! ... وعند ذلك علمت تمام العلم شدة تأثير السلطان الاصفر — الذهب — على هذا الانسان الغريب الاطوار فانه لدى حديثه هذا رأيت أن عظام هذا الشيخ التي نخرها سوس الامراض العصبية وجسمه الذي أنهكته الشيخوخة فاصبح كأنه موضوع في كيس من جلد قدهزته نغمة الطرب والانشراح وأعاد اليه قوة الشباب ذكر السلطان الاصفر

الذي ذكّره بحياته الماضية حياة الكذب والنفاق والدعارة والرجس والفجور ثم أبصرت عينيه تبرقان كدينارين جديدين ولكنه كان أقرب الشبه الى الخادم منه الى الملك ولكني كنت عالماً من هو سيده ثم بعد تفكير ليس طويل سألته قائلا ما هو رأيكم في الفنون الجميلة وكيف تنظرون اليها ...؟

— فتفرس فيّ ومسح عن وجهه بيده آثار الحقد والشر وقال لي أعد سؤالك فاني لم افهمه

— فكررت سؤالي وسألته رأيه بشأن الفنون الجميلة

— فأجابني بقوله : اني لا افتكر مطلقاً بالفنون وانما ابتاع ما احتاجه منها

— فقلت له ذلك أمر معلوم لديّ ولكن يحتمل أن يكون لكم فيها رأي من الاراء أو بعبارة أخرى أريد معرفة حاجتك منها فما دمت تبتاعها فلا شك أنه يكون لك رأي في نقصانها وكمالها ؟

— فقال اجل ! . . اني اطلب مطالب خاصة أهمها أن تكون الفنون فكاهية تجلب السرور لفؤادي وتزيل عنه ما علق به من الاكدار والاحزان وايضاحاً لذلك أقول :

أنا أريد اضحك واسر وابتهج ولا يوجد في اعمالي الخاصة ما يسبب ذلك ومما لا يخفى عليك انه يجب على الانسان أن يطلب الرياضة احياناً ويرتاح من عناء الاعمال ويفرغ ما في دماغه من الهموم ويعمل لما يعيد لجسمه النشاط والهمة ولذلك فان الفنون اذا رسمت مثلا على سقوف الغرف وجدرانها يجب أن يكون الغرض منها تهييج الشهية للطعام وأما الاعلانات التي يعلقونها على جدران الاسواق والبيوت فيجب كتابتها بحبر شديد الاحمرار لتوجه اليها التفات الناظرين عن بعد مسافة ميل ويجب أن تكون مكتوبة بعبارات مشوقة تجذب قارئيها وتدفعهم بقوة تأثيرها الى المحلات المعلن عنها ومتى كانت على هذا المثال تستحق الاعتبار ويهون على أصحاب المعامل دفع قيمة أجرة طبعها . وأما التماثيل فيجب أن تصنع من البرونز لمتانته وصلابته وكذلك آنية الازهار يجب أن تصنع من البرونز الذي هو خير من الخزف المعرض في كل آونة للثلم والكسر . وأني انشرح كثيراً بمصارعة الديوك وتسميم الجرذان لما في ذلك من الفكاهة وقد رأيت ذلك في لندن وقصدت ملاهيها التي تمثل فيها هذه

الامور وطابت نفسي برؤيتها وأما المضاربة « بالبوكس » فانها جميلة جداً تزيل الغم عن الفؤاد ولكن لا أريد أن تكون عاقبتها بالموت . وأما الموسيقى فانها فن جميل ويجب أن تكون أنغامها وطنية محضة خذ لك مثلا النغم الوطني الاميركي فانه يؤثر على سامعه تأثيراً شديداً لحسن توقيعه ، ان أميركا أحسن واجمل بقعة في العالم ولذلك تجد الموسيقى الاميركية ارق واحسن موسيقى في سائر اقطار الارض وهذا امر لا يحتاج الى دليل لانه حيث تكون الموسيقى الجميلة يكون هناك الناس الافاضل الكرام والاميركيون أغنى الناس على الاطلاق ولا تجد امة تضاهيها في اتساع الثروة وفي كثرة المال وبناء عليه فلا تستغرب اذا صرحت لك بأنه سيأتي وقت يهاجر الينا فيه جميع سكان الارض اما أنا فكنت اسمع ترهات هذا الطفل المريض وقد مر في مخيلتي ذكر برابرة تاسمانيا (١) الذين يأكلون لحوم البشر ولكن الذين رأوهم يصفونهم بأن افئدتهم تضم عواطف شريفة ليس لها اثر عند امثال هذا الشخص من عبيد الشيطان

---

(١) واقعة الى جنوب اميركا الجنوبية ويسمونها ايضاً ارض النار

الاصفر وبعد ذلك اردت ان اسأله سؤالا اضع فيه حداً لاعجابه يلاده التي دنسها بحياته الفاسدة وسيره المفسود فقلت له : هل تذهب احياناً الى مراسح التمثيل

فأجاب لاريب في ذلك فاني اكثر من التردد عليها لاني أعتبر التمثيل من ضمن الفنون الجميلة التي تشرح صدر الانسان ؟

— فقلت وما يعجبك في تلك المراسح

— فأجاب بعد تفكير قصير : يعجبني فيها النساء وهن محسورات الصدور عاريات الايدي مرتديات أفخر الحلل ومزينات بأثمن الحلى والجواهر الكريمة ولا سيما اذا كنت جالساً في لوج فوق ألواجهن أمتع الطرف بالنظر الى جمالهن الفتان

ثم تطفلت وسألته أيضاً وماذا تحب اكثر من كل شيء في المرسح ؟

فاجاب بعد ان تثاءب احب الممثلات كسائر الرجال الذين يتعلقون بحبهن ويغازلونهن . ولا يخفى عليك ان الممثلات اذا كن حديثات السن ذوات جمال رائع يسلبن العقول ويوقعن

الرجال في شراك الهوى والغرام ولكن من الامور المكدرة هو صعوبة معرفة كل واحدة منهن هل هي حديثة السن ام جاوزت الاربعين ذلك لمهارتهن في التأنق والاصطباغ مما يجعل الانسان يخال العجوز الدرديس منهن في السنة الرابعة عشرة من عمرها وهن محقات في ذلك لان مهنتهن تتطلب منهن هذا الامر . ويحدث في بعض الاحيان ان يقع الواحد منا في غرام ممثلة فينفق في سبيل حبها المبالغ الطائلة وعندما يتوصل اليها ويبحث في أمرها يجد أنها تبلغ الخمسين عاماً وانه كان لها اكثر من مائتي خليل فيتألم الانسان ويتأفف منها ويأسف على ما اضاعه من الاموال فى سبيل حبها الكاذب واصرح لك ان ممثلات القهاوي واندية الرقص التي تقام غالباً فى الحدائق الغناء احدث سناً من ممثلات المراسح وأرخص جسما واثقل اردافاً

— ثم سألته بعد ذلك وما رأيك فى الاشعار وهل تجد لذة في مطالعتها ؟

— فظهرت على وجهه امارات التفكير ونظر بعينيه الى اسفل وقال : اجل ان الاشعار تروق لي مطالعتها وقراءتها ولا

اخفي عليك ان المعيشة تتحسن والتجارة تروج اذا جنح اصحاب المعامل الى كتابة اعلاناتهم بالاشعار لانها تؤثر في النفس اكثر من النثر

— فاسرعت وسألته قائلا : اي شاعر احب اليك من سائر الشعراء ؟

— فأجابني بعد أن استعادني السؤال لله درك من رجل لايدرك الامور أنه لايوجد دافع يدفعني الى محبة الشاعر ولماذا تلزمني محبته ؟

— فقلت له أرجوك المعذرة لأني أخطأت في سؤالي وكنت اريد ان أسألك أي كتاب أحب اليك ؟

— فأجاب هذا سؤال آخر مفيد فاني أحب كتابين أحدهما التوراة وثانيهما كتاب حساب الدوبيا (مسك الدفاتر)، وفائدة الكتابين متساوية في نظري وعندما أمسكهما بيدي أشعر بأنهما يقدمان لي ما احتاج اليه لان فيهما قوة عجيبة لايستطيع غيري ادراكها .

— فزعمت لأول وهلة أنه يهزأ بي فتفرست في وجهه فلم أجد فيه أثراً للتهكم والهزء بل بالعكس كانت تلوح عليه

علامات الجد والاخلاص وكان جالساً في كرسيه كلب الجوزة الذي يبس وسط قشرته ثم أخذ يجيل نظره في أظافره وقال لا ريب في انهما كتابان مفيدان جداً فان اولهما كتبه الانبياء وثانيهما وضعته أنا الجالس امامك ثم ان كتابي لا يحتوي على كلام كثير بل مملوء بالارقام الكثيرة وهو يعلم الانسان كيف يعمل اذا أراد الشغل بذمة ونشاط واؤكد لك ان الحكومة الاميركية بعد وفاتي ستشهر أمر هذا الكتاب وتجتهد في نشره بين الناس حتى يطلع كل واحد على الطريقة التي توصله الى أسمى درجات الرقي والشهرة .

وبعد ذلك أردت قطع الحديث لأنه من المعلوم لا يستطيع كل انسان أن يتحمل عندما يدوسون رأسه بالأرجل ولكن خطر لي سؤال أردت أن أسأله إياه فقلت له هل تستطيع أن تعلمني رأيك بشأن العلم ؟

— فأجاب بعد أن نظر في ساعته وجعل يتلاهى بسلسلتها الذهبية . نعم لا بأس فاني اخبرك بما اعرفه عما سألت فالعلم على رأيي هو الكتب فاذا كان مؤلفوها يكتبون فيها شيئاً جيداً حسناً عن أميركا فهي كتب نافعة مفيدة والعكس

بالعكس ولكن قلما يلتفت الكتاب في هذه الايام الى تسطير الحقائق وتقرير الصدق وأنا واثق من أن جماعة الكتاب والشعراء قوم فقراء وايرادهم قليل جداً ولا عجب في ذلك فان الامة المنهمكة في الاعمال ليس لها وقت للمطالعة وعلى ذلك تصادف مطبوعاتها كساداً عظيما يتحمل منه مؤلفوها أنواع الفاقة وصنوف الحاجة وفوق هذا وذاك فان الشعراء قوم أشرار وبعدل يحجم الناس عن ابتياع تآليفهم ولذلك فان من رأيي أنه يجب على الحكومة أن تدفع للكتاب مبالغ متوفرة لأن الانسان متى كان شبعان غير محتاج الى شيء يكون لين العريكة حميد الصفات وقلما يميل الى الشر في مثل هذه الحالة ولذلك أقول أنه اذا كانت بلادنا في حاجة الى الكتب المفيدة ينبغي على الحكومة أن تؤجر عدداً عظيما من الشعراء والكتاب وتدفع لهم الأجور الكبيرة وتكلفهم بوضع الكتب ونظم القصائد في تعداد مآثر الاميركيين ووصفهم بأعظم الصفات المجيدة وكذلك وصف أميركا بأنها أحسن بقعة في العالم وأنها مهد المدنية ومهبط العمران وأرض الحرية وماشابه ذلك واذ ذاك فقط تتوفر لدينا الكتب النافعة المفيدة

فقلت له انك ضيقت كثيراً في تعريف العلم ؟

— فاجاب وأزيد على ذلك : أن المعلمين والفلاسفة يدخلون ضمن العلم ! وقل مثل ذلك عن كبار الاساتذة والقابلات وأطباء الاسنان والمحامين والاطباء والمهندسين وكلهم لاغنى للناس عنهم ويجب عليهم أن ينفعوا الناس ويرشدوهم الى ما يفيدهم ولكن معلم ابنتي قال لي مرة أنه توجد علوم اشتراكية فلم يعجبني قوله لاني أظن أن مثل هذه العلوم مضرة ضرراً كبيراً لأن العلم النافع لا يخرج الاشتراكيين وينبتهم كما ان العالم الاشتراكي لايستطيع وضع كتاب نافع مفيد . ولا يستطع ابراز العلوم النافعة الا الرجل العاقل الذي يحب وطنه مثل أديسون مثلا مخترع الفنوغراف والصور المتحركة (سينما توغراف) لما فيها من الفائدة الفكاهية للاهالي وأزيدك ايضاحاً ان كثرة الكتب لا فائدة منها ومن رأيي أنه لايجوز للناس مطالعة الكتب التي تثقف العقول وتهيج الافكار وتولد الظنون والشكوك وكل شيء في هذه الحياة يجري في مجراه الطبيعي ولا لزوم لادخال الكتب في الاعمال وتشويش أفكار العمال.

— ولما قال ذلك نهضت

— فخاطبني قائلا أراك تريد الخروج .

— فاجبته بالايجاب وقلت له انني أرجوك كثيراً أن تعلمني شيئاً أميل الى معرفته وهو ما الفائدة التي يجنيها الانسان من احرازه الملايين ؟

— فأجاب ان ذلك عادة راسخة في الجسم وكلما زادت ثروة الانسان يسعى في زيادتها كما ان العادة المستأصلة في جسم الانسان تنمو مع نموه

— فأطرقت ملياً ووجهت اليه آخر سؤال وهو فاذاً على رأيك أن المتشردين ومدخني الافيون والسكيرين كاصحاب الملايين سواء بسواء ولقد ظهر لي أن استنتاجي هذا كدره فاجابني بصرامة قائلا انك ياصاح عديم التربية مجرد عن الاخلاق الطيبة

— استودعك الله ياصاح !...

فسار معي مشيعاً حتى الباب الخارجي وكانت أمام منزله ساحة كبيرة مغطاة بالعشب الاخضر الذي ينمو فيها فسرت عليه وكان فؤادي يخفق سروراً لانه خطر على بالي فكر وهو

اني لا أعود أرى هذا الرجل

— وفيما كنت سائراً سمعت رجلا يدعوني باسمي فالتفت فاذا به واقف أمام الباب ينظر الي فقلت له ماذا تريد مني ؟

— فقال هل يوجد عندكم في أوربا ملوك زائدون عن لزوم رعاياهم ؟

— فاجبته ان جميع الملوك لا لزوم لهم وجميع الشعوب في غنى عنهم

— ثم قال أحب أن أستأجر لي زوجاً من الملوك

— فقلت له ولماذا ذلك ؟

— أجاب كنت الزمهما أن يتصارعا كل يوم بالبوكس في هذه الساحة على سبيل الفكاهة كما يتفكه الانسان بمنظر مصارعة الديوك

— فقلت له عندكم هنا كثير من الزنوج والمهاجرين تستطيع استخدامهم لمثل هذه الغاية ؟

— أجاب كلا . كلا . لاني اذا تحصلت على ملكين من ملوك أوربا أتفرد بهذا المعنى وا كون أحرزت شيئاً لا مثيل

له عند أحد من أصحاب الملايين وفي ذلك لذة عظمى ولكل جديد طلاوة ترتاح اليها النفوس

— فقلت له ان الملوك لا يحسنون المصارعة لانهم يتصارعون دائماً بايد غريبة أو بعبارة أخرى يدفعون رجال رعاياهم ويعرضونهم للهلاك ويتلاهون بمنظرهم كما كان يتلاهى ملوك الرومان واليونان بمصارعة الاسود والثيران

ثم قال لي وكم تظن أنه يكلفني استئجار ملكين في خلال ثلاثة أشهر يتصارعان كل يوم مدة ساعتين ؟

فلم أرد عليه وسرت في طريقي لا ألوي على شيء



ليا

للكاتب الروسي بيتروشيفسكي

ما اجمل نساء مدينة لوفيتش ! لافرق بين عقائلها وأوانسها فقد حباهن الله جمالا فتاناً خلاباً يعرفه جميل أهالي بولونيا . وسار اهاليها من قبل سيراً حميداً مقروناً بالاداب والفضائل متباعدين عن ادمان الخمر فمنحهم الله جمالا انسانياً نادراً . ولكنهم حادوا بعد ذلك عن الصراط السوي ومع هذا فان المولى تعالى لم يتخلَّ عنهم وما زال الجمال الجذاب شمار الامهات والزوجات

انفردت بينهن بجمالها الرائع ليّا ابنة ليزمان فقد فاقتهن جمالا وقداً واعتدالا . وعاش والدها دافيد ليزمان عيشة راضية محافظاً على ناموس اسلافه وآبائه محصلا خبزه من طريق شريف مجرداً عن المطامع والشوائب فباركه الله وبارك بيته

قدم دافيد الى « زدونسكايا فوليا » منذ ثلاثين عاماً وكان شاباً اسود الشعر وقدمت معه زوجه الحسناء فعاشا

في ظل السعادة والصفاء ولـكن هو الدهر الخؤون ان صفا لانسان يوماً كدره أياماً فقد خطفت المنون زوجه دورا من بين يديه فذهبت لخالقها ولم تترك زوجها وحيداً بل تركت له ليا الصغيرة لتكون له سلوى في احزانه ووحدته وكان يصلي في الغدو والآصال ذاكراً زوجته الحبيبة . نمت ليّا كالغصن الرطيب تحت أشعة الشمس المنعشة وكانت صورتها كصورة والدتها : بقد مياس وعينين سوداوين كعيني الوعل وذؤابتين طويلتين تتلويان كالثعبان وثغر بسام كحبة الفستق تتلألأ داخله أسنان درية منضدة اذا سارت تثنت كقضيب الخيزران وكانت فتنة للناظرين بل أنهافتنةمتحركة

ولم يكن أجمل منها في مدينة لوفيتش . ويري الناظر كل يوم الى منزل والدها عشرات من الشبان يمرون بمركباتهم لتكتحل عيونهم برؤية ليا . فلم يقلق ذلك دافيد الذي كان يقول : فلينظروا الى فتاتي الحسناء وليستنيروا بمحياها الوضاح

ذاعت في تلك الايام شائعات عن شبوب الحرب التي

انتظم في سلكها كل الرجال القادرين على حمل السلاح تاركين زوجاتهم واولادهم واخواتهم

ومرت بمدينة لوفيتش الجنود وعربات النقل والمدافع والسيارات والدبابات والفرسان الخ الخ ولم يخف منظرها الاهلين بل جلب لهم السرور والحماسة وتحدثوا فيما بينهم بحدوث معارك دموية وأن العدو زاحف بقضه وقضيضه على وارسو

وعند فجر ذات يوم سمع الاهالي كأن الرعد تجمع فوقهم من شدة قصف المدافع . فهب دافيد من نومه مذعوراً وأيقظ درته اليتيمة ليا واختفى معها في القبو الذي يخزن فيه الجعة المخفور تحت أرض منزله . وتوالى قصف المدافع بشدة حتى صمّ الاذان واوقع الهلع في القلوب وعلم الاهالي ان الجيوش الروسية اندحرت أمام العدو فتكاثفوا كالبناء المرصوص للدفاع عن وارسو

أما ليا فان الخوف ملأ جوارحها وفؤادها فلم يفارقها الاضطراب والقلق ووالدها لم ينقطع عن الصلاة لحظة لتذهب هذه النكبة من فوق رأسه

فقالت له ابنته سائلة : من ابتكر ومن قال وعلم الناس أن يهلكوا بعضهم بعضاً

فأجابها أبوها : ان الحرب رجس من عمل الشيطان

— ومن سيغلب ؟

بالطبع سيغلب الروسيون لان العدو مهما كان قوياً لا يستطيع التغلب عليهم وانما الروسيون يستطيعون التغلب على بعضهم فقط

ودام القتال الى نصف الليل ولم يستطع الروسيون الثبات أمام العدو فانسحبوا وحل العدو محلهم

خرج دافيد من حفرته ورأى بيوتاً عديدة قد تهدمت وغيرها احترقت وأذرف الاهالي دموعاً سخينة على ما حل بهم من الويلات والخسائر وقد سلم منزل دافيد فدخله مع ابنته وخادمته العجوز وشكر الله على السلامة ثم ذهب كل واحد الى مضجعه واستغرق في النوم

وفيما كانت ليا نائمة سمعت طرقاً على نافذة غرفتها المطلة على الحديقة فأيقظت والدها ونبهته الى الطرق على

النافذة . فسمع بنفسه طرقاً خفيفاً وصوت ملتمس يرجو فتح الباب وسمع ايضاً أنين الطارق

فخرج دافيد بنفسه في الظلام وكانت اصوات عجلات العربات وزئاط الناس وضوضاؤهم وصهيل الخيل ما زالت مسموعة ووجد تحت النافذة رجلا جرحت يده وكتفه وقد لطخ الدم الاسود ثيابه . فحمل دافيد الجريح الى داخل منزله ورأى على النور انه ضابط شاب

فأسرعت ليا وسقت الضيف ماء وضمدت بيديها الرخصتين جراحه وربطتها بلفائف نظيفة وعلمت منه أن فرقه تركته جريحاً ولم تحمله معها

ولما شبع الجريح وعاد اليه شعوره أراد دافيد ان يوصله الى العمدة وشعرت ليا بعزم والدها فقالت له: أتريد ياوالدي أن تسلمه الى البولونيين . ان هذا أمر غير مستحسن لأنهم يسلمونه للعدو بلاريب حيث يلبث أسيراً عدة سنين . ان سة قاده الى عتبة بابنا في هذه الليلة الرهيبة فدعنا نخفه وأنا أتولى معالجته بنفسي واني لواثقة بأن فرقته ستمر من هنا ثانية وتأخذه معها ونحن بذلك ننقذه من عذاب الأسر . ان الله

يساعدنا وأمه لاتذرف الدمع على ابنها . وتراءى للشيخ دافيد ان ابنته تتكلم بلسان أمها دورا من السماء فأصغى الى كلامها ونزل على ارادتها ثم ان دافيد وليا قادا الجريح ايفان (اسم الضابط) المسيحي الى فراش وثير وما كاد يضطجع عليه حتى استغرق في نومه الهنيء .

بقي الجريح ايفان مدة أسبوعين كاملين في منزل دافيد ليزمان أخذت جروحه بعدهما تندمل وتماثل للشفاء وكانت ليا تعتني به وبطعامه ولم يعلم أحد في الوجود عما فعله دافيد الذي يعلم حق العلم بأنه لوعلم العدو بأنه أخفى ضابطاً روسيا لقطعوا رأسه لامحالة ولذا داوم على الصلاة الى الله لينقذه من هذه المحنة

وكان يحضر كثيرون من الجنود الى منزل دافيد ولم يجرؤ أحد منهم على اهانته او اهانة ابنته ولم يكتشفوا مخبأ الجريح

وأما العدو فانه لم يقترب من وارسو بل انقلب راجعاً الى الوراء ودخلها الروسيون وكان الضابط ايفان قد شفي . فشكر دافيد وقبله قبلة الند للند وعرض عليه مبلغاً من المال

رفضه بإباء وشمم علماً منه انه صنع ماصنع اجابة لطلب ابنته وزوجه دورا الموجودة في السماء .

ذهب الجريح دون ان يخاطب ليا بكلمة ولكنه نظر الى عينيها نظرة مملوءة شكراً وحباً وفهم الأب معنى هذه النظرة فانقبض فؤاده لأنه علم منها ان الشاب أحب ابنته وان ابنته احبته ايضاً

ذهب ايفان وانقطعت ليا عن الغناء ولم يعد أحد يسمع صوتها العذب وانقطعت عن تشنيف أذني والدها الشيخ بأغانيها الشجية المطربة وملأ الحزن والدموع عينيها الجميلتين وكانت تجلس على عتبة المنزل والحزن مالىء فؤادها ورأسها مملوء بالافكار التي كانت تطرد بعضها بعضاً

وقالت في نفسها ذات يوم : كان في نفسي حاستان : محبة الأب ومحبة الله وكانتا على وفاق وسلام . . . ابي علمني أن أحب الله العلي والله أمرني بمحبة أبي . . . والآن ليس في نفسي سلام فقد دخلت فيها حاسة ثالثة ليست على وفاق مع الحاستين الأوليين . . . لأنه لماذا يكتئب القلب ؟ وأيهما أقوى الدين أو . . . هو دعاني اليه . . . وهو مؤمن بالله . .

ولم يمنحني الشيطان حبه . . . بل . . . تمتمت ليا هذه الكلمات وهي في حالة الذهول

فقال لها والدها سائلا : حب مَن ؟

— لا حب لأحد . . .

— عزيزتي ليا ! انك لاتهمسين عبثاً بالحب . . . انت انقطعت عن الغناء وضحكك توقف عن جلب السرور لسمعي. لماذا أنت حزينة ؟ . . والآن أرى عينيك مملوءتين بالدموع بدل الابتهاج والغبطة

— كلماتك هذه تؤلمني ياوالدي ! لقد خلطت في افكاري وفي صلاتي وفي قلبي

— لاتخفي عني شيئاً ! وقولي لي مايؤلمك ويعذبك ؟

— أخبرني ياوالدي ! أيهما أقوى : دين الآباء أم غرام النساء ؟

— ليا ! ليا ! ما كنت أتوقع مثل هذا السؤال منك . الدين أعطانا اياه الله والحب . . . . وقرأ على مسامع ابنته كلمات النبي القائلة : « أنا شدكن الله يابنات أورشليم ! لا توقظن الحب ولا تثرنه الى أن يأتي وحده . . . واذا جاء

فان المياه الغزيرة لا تستطيع اطفاءه والانهار لا تستطيع اغراقه»

— أوليس الحب هبة سماوية كالدين . أوليس ان الله بالحب ينير نفسين

— ليا ! أنى لك هذه الأفكار ؟ ومن هو الذي أحببته ؟ وبسبب حبه تحاولين ترك دين ابائك . أخبريني . . . أليس ان ذلك الضابط مس صميم فؤادك وانتفع باخلاصك وصلاحك . . . تناسيه يا بنتي ! أو لعلّ الله أرسله لتعاستي

— انك لم تجبني على سؤالي : ايهما أقوى : الدين أم غرام النساء ؟ يا أبي لقد تعودت تصديق كلامك وأثق به ككلام النبي . فقل الآن الصدق دون مماراة ... وراء من أسير ؟ هل وراء الشعور أم وراء الدين . ولا تنس انني ابنتك الوحيدة ولا تدفعني الى العذاب بدل السرور والسعادة . . .

— ليا لا يجوز مطلقاً مساواة الدين بالحب . فالدين أعطي للانسان وحده مرة واحدة وكل انسان يستطيع الحب مراراً

— انك يا أبي أحببت مرة واحدة ولم تستطع امرأة اخرى ان تبعد حبها عن ذاكرتك

— لا تقارني — فتلك كانت دورا والدتك . . . —

— واذا كانت امي على دين آخر فهل كنت تتركها،
أو تسير وراء . . . اخبرني امام الله : كيف كنت تتصرف
لاقتفي أثرك وأفعل فعلك

— لا تعذبيني يا ليا !

— يا أبي ان أمي تنظر الينا من السماء . . . فمن تختار ؟
هل تختارها أم تختار عهد الآباء

— فلتسامحني دورا . اني اختار . . .

— كفى كفى يا أبي ! انك لم تحب كالنساء « ان المياه »
الغزيرة لا تستطيع اطفاء الحب ولا الانهار اغراقه »

فاغتم دافيد وغدا بعد هذا الحديث يئن في خلال نومه.
وجعل يصلي الى الله طالباً منه أن ينزع حب الروسي من
فؤاد ابنته

ان الاحزان تتوالى فلم يكف ما أصاب دافيد من الحزن.
بسبب حب ابنته بل جربه الله تجربة أخرى

فقد عزم دافيد على السفر الى لوفيتش لشراء بضاعة
وبعد أن ربط الخيل بالمركبة دخلت عليه امرأة غريبة لا يعرفها،

لا هو ولا جيرانه وطلبت اليه ان يحملها في مركبته الى لوفيتش لانها تقصد الاسراع الى زوجها المريض وأرته جنيهين وقالت ادفعهما لك اجراً. وكان دافيد لم ير الذهب من عهد بعيد فغره بريق الدينارين ورضي ان يحمل السيدة في مركبته

شعر فؤاد ليا بمصيبة مفاجئة فرجت والدها ان يعدل عن السفر وان لا يصطحب معه هذه المرأة فلم يصغ لكلامها وسافر لا يلوي على شيء

وفيما هو في الطريق استوقفه الجنود المرابطون في الطريق وبالبحث علموا انه يحمل رجلا متخفياً بلباس امرأة فقادهما الجنود الى مركز القيادة

فأمر القائد بمحاكمتهما في الحال وعلم الجاسوس المتخفي بلباس امرأة انه لا بد من اعدامه فاعترف بأنه معهود اليه الوقوف على قوة الروس ومكان معسكرهم وأكد ان اليهودي يجهل من يحمل في مركبته وطلب الى القائد ان يكتب لوالديه في بافاريا ويخبرهما كيف مات ابنهما ... فوعده القائد بتنفيذ رغبته وحكموا عليه بالاعدام رمياً بالرصاص

ولم يكن لدافيد من يدافع عنه او يقول انه بريء ومعلوم ان قوانين الحرب قاسية فلم يصدقوا أقسامه الغليظة وحكموا عليه بالاعدام شنقاً وارسلو الحكم للقائدالعام لتصديقهوأجابوا ملتمس دافيد فأرسلوا الى منزله يطلبون له ملابس نظيفة ليلاقي ربه بجسم طاهر

فركب أحد الجنود جواداً وأسرع الى منزل دافيدوقال لابنته اسرعي واحملي لوالدك ثياباً نظيفة لأنه غداً صباحاً سيشنقونه عقاباً له على تجسسه ومحاولته تسليمنا للعدو

فصعقت ليا ولم تفهم شيئاً مما قاله الجنديوجرت وراءه كالوعل الى مركز القيادة العامة لمقابلة القائدوهناك رووا لها تفاصيل الأمر . فبكت امام القائد وانتحبت وسجدت امامه وقبلت يديه راجية اياه ان يعفو عن والدها فصادفت أذاناً صماء ولما رأت فشل مسعاها عادت مسرعة الى المنزل لتنفيذ ارادة والدها الاخيرة

سارت مسرعة لاتعي على شيء ولم تجد من يوقفها ولما بلغت المنزل رأت جواداً مربوطاً ثم وجدت في البيت شاباً ينتظرها ذلك الشاب الذي هو أعز مخلوق لديها في هذه الدنيا

ذلك الذي تفكر به ليلا نهاراً ـ ذاك الذي أنقذته من الموت يديها وما كادت تطأ أرض الغرفة حتى وقعت امامه بلا حراك فرفعها وعانقها وأجلسها على المقعد ولما عاد اليها رشدها سألها : اين والدها ؟

فروت له وهي تبكي وترتعش ما جرى لوالدها فصدق ايفان روايتها عن براءة والدها فقفز من فوره على ظهر جواده وأطلق له العنان قاصداً القائد العام فوجده نائماً فأيقظه وقص على مسامعه ايواء دافيد له في منزله ومعالجته له ومخاطرته برأسه ورأس ابنته في سبيل خلاصه وأكد له أن دافيد بريء مما نسب اليه وكان القائد عادلا فأصغى الى كلام ايفان ونقض حكم الاعدام وقال : ان اليهودي يستحق الجزاء دون العقاب وأمر أن يغادر ميدان القتال

كان دافيد ينتظر الموت بين ساعة وأخرى بدون خوف أو وجل لانه عاش عمراً طويلا في هذه الدنيا ورأى كثيراً من الخير والشر ورجا أن يرى في السماء زوجه الحبيبة دورا وانما كان قلبه يؤلمه على ابنته التي سيتركها وحيدة فريدة وجعل يصلي لاله ابراهيم واسحق ويعقوب

لكي لا يتخلى عنها وان يبعد عنها كل شر ومصيبة ويطهر قلبها من حب ذلك الروسي . لبث يصلي ويبكي ليس خوفاً على حياته بل حزناً على ابنته ليا التي ستبقى في هذه الدنيا بين أناس اشرس من الوحوش الضارية وأشد خطراً منها

لبث في بكائه ولم يسمع فتح باب سجنه ولم ير دخول الجنود ومعهم ذاك الذي طلب أن يؤويه في منزله في تلك الليلة الرهيبة . . .

— اخرج يا داود ! انك حر طليق قال له ذلك ايفان الضابط ثم ارتمت ابنته على صدره ولكنه لم يصدق ما سمع وما رأى وقال : من انقذني ؟ من برأني ؟ ومن منحني الحياة ؟

فأجابته ليا والسرور يطفح من وجهها: ذاك الذي أويته في منزلك وهو الآن رد لك حياة بحياة — ذلك الذي أحبه أنا كما أحبك يا أبي

— ليا — ليا عزيزتي ! لا تخاطبيني بشأن حبك لأنه لا يجوز لك ان تحبيه لأننا من دينين مختلفين . . . —

— يا أبي ! ان له الهاً واحداً مثلنا . هو خلصك وأنا

— أذهب معه وسيكون دينه ديني

فبكى الشيخ ورفع عينيه الى السماء ولم يتكلم بلسانه بل بقلبه وقال : لنا اله واحد فلتكن ارادته المقدسة

« ان المياه الغزيرة لا تستطيع اطفاء جذوة الحب ولا الأنهار اغراقها »



طرائف ولطائف

كريم الملك والجارية

قيل أن كريم الملك كان من أهل الظرف والأدب فعبر يوماً تحت جوسق بستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر ، لا يستطيع أحد وصفها فلما نظر اليها ذهل عقله وطار لبه ، فعاد الى منزله وأرسل اليها هدية نفيسة مع عجوز كانت تخدمه ، وكانت الجارية قارئة فكتب اليها رقعة يعرض عليها الزيارة في جوسقها . فلما رأت الرقعة قبلت الهدية ثم أرسلت اليه مع العجوز عنبراً على زر ذهب وربطت ذلك في المنديل وقالت هذا جواب رقعته . فلما رأى كريم الملك ذلك لم يفهم معناه وتحير في أمره وكانت له ابنة صغيرة السن فرأته متحيراً في ذلك فقالت : يا أبتِ أنا فهمت معناه ! قال وما هو لله درك ؟ فأنشدت تقول

أهدت لك العنبر في جوفه　　زر من التبر خفيّ اللحام

فالزر والعنبر معناهما　　زُرْ هكذا مختفياً في الظلام

الرشيد وجارية

قيل أن الرشيد حلف أن لا يدخل على جارية له أياماً وكان يحبها فمضت الأيام ولم تسترضه فقال شعراً

صد عني اذ رآني مفتتن　　　وأطال الصبر لما ان فطن
كان مملوكي فأضحى مالكي　　　ان هذا من أعاجيب الزمن

ثم أحضر أبا العتاهية وقال له أجزهما فقال :

عزّة الحب أرته ذلتي　　　في هواه وله وجه حسن
فلهذا صرت مملوكاً له　　　ولهذا شاع مابي وعلن

الرشيد وجارية أيضاً

قال الأصمعي بينما كنت عند الرشيد اذ دخل علينا رجل ومعه جارية للبيع فتأملها الرشيد ثم قال : خذ بيد جاريتك فلولا كلف في وجهها لاشتريناها منك فلما بلغ الستر قالت يا أمير المؤمنين ذرني أنشدك بيتين قد حضراني الساعة وأنشدت

ماسلم الظبي على حسنه　　　كلا ولا البدر الذي يوصف
فالظبي فيه خنس بيّن　　　والبدر فيه كلف يعرف

فاعجبته بلاغتها فاشتراها وقرب منزلتها وكانت أعز وصائفه عنده

الأصمعي والأعرابي

قال الأصمعي بينما أنا أتطوّف في الكعبة اذا برجل على قفاه كارة وهو يطوف ، فقلت له : أتطوف وعليك كارة ؟ فقال هذه والدتي التي حملتني في بطنها تسعة أشهر أريد أن أؤدي حقها ، فقلت له ألا أدلك على ما تؤدي به حقها ، قال لي وما هو ؟ قلت : تزوجها ! فقال : ياعدو الله ! تستقبلني في أمي بمثل هذا ؟ قال : فرفعت يدها فصفعت قفا ابنها وقالت : لمَ اذا قيل لك الحق تغضب

الأصمعي وعاشق

قال الاصمعي بينما أنا أسير في البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا اذا حلّ عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يداري هواه ثم يكتم سره ويخشع في كل الأمور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوباً تحته هذا البيت

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى   وفي كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته :

اذا لم يجد صبراً لكتمان سره   فليس له شيء سوى الموت ينفع

فعدت في اليوم الثالث فوجدت شاباً ملقى تحت ذلك الحجر ميتاً ومكتوب تحته هذان البيتان

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا   سلامي الى من كان للوصل يمنع
هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم   وللعاشق المسكين ما يتجرع

الكعب العالي

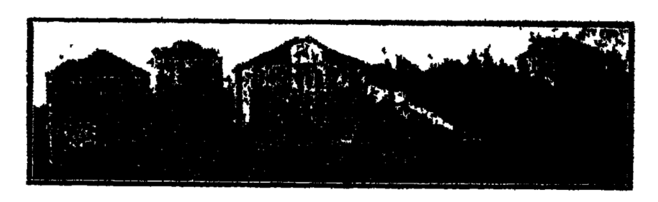
بين غنج وصبوة واختيال   خطرت غادة بكعب عال
وعلى صدرها الجميل تدلى   عقد جيد منظم باللآلي
وكساها من الحرير رداء   مستحب في عين بعض رجال
تظهر الركبتان منه ويبدو   جسمها الغض مثل صافي الزلال
تارة كالغزال تمشي وطوراً   بازدهاء كظافر في قتال
. ! تارة قصار وأخرى   واسعات خفيفة وثقال
كل هذا لان ذا الكعب عال   لم يدعها اسير سير الكمال
بعد حين رأيتها في ارتباك   وحياء وحيرة وانذهال

حجر في الطريق كان كبيراً صدم الكعب كعب ذات الدلال
صدمة من مكانه زعزعته فغدا خفها من الكعب خالي
فانحنت عند ذاك والتقطته وهي تخفيه عن عيون الرجال
ومشت تسرع الخطى بحياء كغراب مقلد للحجال
وتوارت عن العيون سريعاً وهي لم تدر شرقها من شمال
يا نسانا ويا بنات نسانا حسبكن اتباع طريق الضلال
ان هذي الازياء هدت قوانا دعننا منها « يا بنات الحلال»
نملأ الجيب في الصباح ونمسي ليس فيه من درهم او ريال
كل يوم زي جديد غريب متلف للعقول والاموال
لا نرى الحسن في ارتفاع كعاب انما الحسن في ارتفاع الخصال

اسكندر البيتجالي

الاصطياف

برام الله فلسطين قرب القدس



حرب بالاس اوتيل

من شاء أن يتمتع بالراحة التامة والرفاهية ويجدد قواه فليزر رام الله ويصطاف في فنادق ومنازل شركة مصايف فلسطين الحديثة حيث الهواء العليل والفواكه الكثيرة والاسعار الرخيصة والمناظر الطبيعية الخلابة من جبال ووديان وبحور وأشجار

استعلموا

من فرع السياحة في بنك مصر أو من

حرب

رام الله فلسطين — تليفون رقم ٢٠